عبير

المنتقم والحب

www.7akawyna.com

مرمورية

روايات عبير الرومانسية

4

عبير

AL AMEEN ROMANCE **ABER** No. 4

الشقيق والحب

اختطف « واندو روث » سارة سلوان واحتجزها فى كوخ عدة أيام ؛ ظناً منه أنها تسببت فى مقتل أخيه « ايدن » الذى كان على علاقة بها . وأراد « والدو » منها أن تواجه « لوسى ودافيد » - والداه بالتبنى - لتكتشف الدمار الذى سببته لهما فى حياتهما ، ولكن الأحداث سارت فى اتجاه آخر .

تُرى ماذا كانت نهايتها ؟ .. هل سيلتصر الحب .. أم الانتقام ؟!.

دار الأمين طباعة - نشر - توزيع DAR AL AMTEN

٨ شارع أبو المعالي (خلف المعهد البريطاني) العجوزة ☎ ٣٤٧٣٦٩١

١ شارع سوماج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم

الفصل الأول

" قضاء ثلاثة أسابيع بعيدًا ليست بمدة طويلة يا جيرالد "

كان جيرالد أومارا يكرر عليها كم سيفتقدها والآن أخبر سارة عابسًا ، " بل هى مدة طويلة . تعرفين بالتأكيد ماهية شعورى ناحيتك . يمكننى الحضور معك ، ولكنك ترفضين هذا الاقتراح " .

" هذه ليست فكرة جيدة " . أكدت سارة عن تصميم بينما تلتف أصابعها النحيلة حول كأس مشروبها على المفرش الزيتونى القطنى للمنضدة . كان فندق البلازا بدون شك ممتازًا ؛ أخبرها جيرالد بأنه سيأخذها إلى تناول عشاء بسيط فى مكان هادئ ولكنه فاجأها بهذا المكان الأنيق والغالى . من الواضح أنه يخطط إلى ما هو أكثر من ذلك " ليلة سعيدة وشكرًا لك على دعوتك اللطيفة وأراك بعد ثلاثة أسابيع" . ولكنه يأمل فى إكمال السهرة فى شقتها .

ولكن موافقتها إلى تناول العشاء معه الليلة هو أن تخبره ، وعن تصميم وبوضوح للمرة الأخيرة ، بأنها آسفة ولا تستطيع الزواج منه لعدم شعورها ناحيته بأكثر من مشاعر الزمالة والاحترام .

وافقت من قبل على قبول دعواته للخروج معه من الحين للآخر لأن ذلك أسهل من إلحاحه المميت عند رفضها لأى دعوة من

دعواته المتكررة . ولكنها لم تعط له أى أمل فى الفوز بقلبها . والآن قرر بذل محاولة أخيرة ليجعلها تطيع مشيئته وترى الأمور من منظاره ، وذلك بعد أن قررت قضاء ثلاثة أسابيع إجازة بعيدًا عن الوكالة .

" أكره فكرة استلقائك على الشواطئ المشمسة بمفردك ، ضحية بريئة لأى رجل كالذئب . " التعبير فى عينيه البنيتين تناغم مع تصميم ذقنه . قالت سارة بحزم " لا تقع مراكش على الساحل ، كما تعرف جيدًا ، وسأقضى معظم وقتى فى التزحلق على الماء بفندق أطلس ، وإذا التقطنى أى شخص لأعلى سيرجع السبب إلى سقوطى على وجهى " .

" على أية حال .. " قاطعها جيرالد ولكن على سبيل المزاح " لازلت غير مقتنع برفضك الذهاب معًا . سيدير أبى وجويس الوكالة فى غيابنا . أريدك بجانبى طوال الوقت . أرغب فى الزواج منك " .

" جيرالد ، أرجوك - " . فجأة شعرت سارة برغبة يائسة فى الذهاب إلى منزلها . لقد كانت الأمسية كارثة ، لم يكن يجب الموافقة على قضاء تلك الأمسية بصحبته ولكنه أصر متوسلاً " مناسبة بسيطة ، عادية - فقط لمناقشة أمور متعلقة بالعمل - أية

مشاكل أو متاعب تظهر أثناء سفرك . لن أفتح موضوع الزواج مرة أخرى . أعدك " ولكنه لم يفعل شيئًا ، سوى أن ألح عليها لتتزوجه ، ولم يذكر أى كلمة عن أى أمر من أمور العمل . هى على علم بعدم وجود أى مشكلة بالعمل ، لقد قامت بالترتيب لكل شىء بالعمل أثناء فترة سفرها . تتقن عملها تحبه إلى أقصى حد . وكالة أومارا الأدبية ناجحة بفضل إدارة روجر أومارا الحازمة ، روجر أومارا هو والد جيرالد ، وأثناء الفترة التى أمضتها بالعمل أصبحت ، كما يقول لها ، ذراعه الأيمن فى العمل . ولكن تصرفات جيرالد الملحة بدأت تنغص عليها حياتها ، وهذا أمر يدعو للشفقة لأنه عندما ينسى افتتانه السخيف بها يمكنه أن تصبح رفقته مسلية وزميل يعتمد عليه . يبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا ولكن فى أوقات مثل تلك ، تشعر سارة ، والتى تبلغ خمسة وعشرين عامًا ، أنها أكبر منه بمائة عام .

وبينما تجاهد فى البحث عن كلمات مناسبة ، خيم الحزن على عينيها الخضراوتين الساحرتين . لابد من إيجاد طريقة لتقنعه ، للمرة الأخيرة ، بأنها ليست شغوفة به لتتزوجه . لا يمكنها أن تكون شديدة الفظاظة معه ، لأنها تعمل معه فى نفس المكان . بالإضافة إلى أنها لا تحب أن تؤذى مشاعر أى شخص .

أشاحت برأسها حتى لا تؤثر فيها نظرة الاستعطاف والحزن بعينيه مما يجعلها تقول له كلمة مهدئة ، ليعتقد أنها تعطى له أمل ، تجولت عيناها فى أرجاء المطعم الأنيق الفخم لتصطدم بعينى الرجل الجالس على المنضدة المجاورة . ولبرهة تبدو طويلة بلا نهاية تقابلت عيناهما ، ثم أخفضت رموشًا سوداء كثيفة بينما أشاحت سارة بعينيها بعيدًا ، وأحمر خداها بلون أحمر قانٍ .

اعتادت على نظرات الرجال لها - المعجبة ، المتأملة أو ربما التى تبدى الرغبة بصراحة - نظرات تتفحص وجهًا ذا قسمات رقيقة وناعمة ، شعر أسود كثيف وجسد أنثوى رشيق . ضاقت بتلك النظرات فلم تعد تجد صعوبة فى تجاهلها . كان الرجل شديد الوسامة ، تقريبًا بدرجة غير عادية . أسمر ، ويحيطه غموض يشير بعفوية إلى الخطر . وعندما تقابلت عيناها بعينيه ، شعرت بأنها تغرق فى أعماقهما الباردة المظلمة ، وجاءها إحساس غريزى بأنه كان يراقبها لفترة من الوقت ، وأنها ليست بغريبة عنه . كان إحساسًا غير مريح .

يتناول عشاءه بمفرده ، والعيب الوحيد الموجود فى هذا المطعم هو تقارب المناضد من بعضها البعض ، مما يمنع الخصوصية . التفتت إليه نصف التفاتة فى مقعدها ، ألقته سارة بنظرة باردة وأعطته كتفًا رشيقًا ذا بشرة حريرية ناعمة ، وعنق طويل يظهر

من فتحة العنق لفستان جرسيه حرير ذى لون أحمر وشعرت بنظرات عينيه السوداوين الباردة تخرق جسدها .

لابد وبدون أن يقصد قد سمع محادثتهما ، ربما اعتقدها مسلية على اعتقاد أنها مشادة بين حبيبين . ولكن لم يوجد أى أثر للمتعة فى هاتين العينين بل احتقار بارد .

ابتسمت بارهاق إلى جيرالد ، بينما طردت من ذهنها هذا الغريب ، والتأثير الغريب الذى تركه عليها .

" أود الذهاب إلى منزلى الآن . " قالت وهى تراقبه ، وقد أصبح أحمر الوجه وهو يشير إلى الجرسون أن يحضر الفاتورة .

أخذت سارة تجوس أرجاء شقتها وقد انتابها شعور بعدم الطمأنينة واضح فى كل خط من خطوط جسدها الطويل الرشيق ، بينما تطوف عيناها بدون أن ترى أى شىء ، فى الديكور المتناسق من اللونين الأخضر والرمادى ، وقطع التحف المنزلية وكانت قد جمعتها منذ فترة طويلة .

منذ أن تركها جيرالد من حوالى ساعة مضت ، أنهت خلالها حزم حقيبتها ، واتصلت لتؤكد الموعد الذى سيأتى فيه التاكسى إليها - فى تمام الساعة الخامسة والنصف - وقامت بتسخين كوب من اللبن . ولكنها لا زالت غير راغبة فى أن تأوى إلى فراشها

www.rokanwa.com

بعد ، هاجمها شعور غريب عن قرب حدوث أمر خطير لها وأنه يوجد شيء ما أو شخص ما فى الخفاء فى انتظارها .

لم يكن فى الحسبان أن تدعو جيرالد إلى منزلها بعد العشاء ، ولكن ماتريد قوله له لم تستطع أن تقوله فى المطعم ، كما كان واضحًا أن هذا الغريب ذو العينين السوداوين الباردتين يستمع لكل كلمة تنطق بها .

حاول جيرالد أن يضمها بين ذراعيه بمجرد غلق باب الشقة ، ولكنها تحاشته لتذهب لعمل بعض القهوة ، أخبرته بينما يتبعها مثل الجرو التائه " دعوتك لتناول القهوة حتى نتمكن من الحديث فى هدوء وسلام . الحديث فقط يا جيرالد . يجب أن أجعلك تفهم بأنه لن يوجد بيننا أى نوع من الارتباط - فيما عدا الصداقة ، بالطبع ، وعلاقة زمالة جيدة . أى علاقة أخرى أرفضها تمامًا " .

" أريد الزواج منك " . قال وكأن قوله هذا سيجعلها تغير من رأيها . أصبح مُلحًا ، ووضعت سارة الأكواب واللبن على الصينية ، وهى تعض على شفتيها ، بينما تجاهد للمحافظة على صبرها الذى بدأ ينفد سريعًا . " فكرة الزواج مرفوضة " .

" ماذا بك حتى ترفضين الزواج ؟ " . تبعها عندما أخذت الصينية إلى غرفة الجلوس ، استند إلى الباب بينما يراقبها وهى

تضع الصينية على المدفأة وتشعل المدفأة الكهربائية لتزيد من الحرارة المركزية ، فى محاولة لطرد الرجفة التى بدأت تأتيها من الداخل وليس من الجو المحيط بالشقة . " لا شيء . الزواج مناسب للناس الملائمين " .

" هل أنت مريضة نفسيًا كى ترفضى الزواج ؟ " . أغلق الباب بقوة ، فأحدث ضجة مدوية .

" أنا لست بمريضة نفسيًا " . سكبت القهوة ، أشاحت بوجهها حتى لا يرى الشحوب المفاجئ الذى ألم بها ويدها التى بدأت ترتعش .

مرتين كانت على وشك الزواج ، المرة الأولى ، عندما كانت تبلغ من العمر تسعة عشر عامًا ، كان هذا قرارها ، وبالتأكيد لم يكن قرار إدوارد . وهذا بالتأكيد خاص بها ولا يخص جيرالد فى شيء لتخبره عنه ، ولكن خطبتها إلى إيدن . معروفة للجميع ، وإذا أخبرته ، ربما يعرف بأن الارتباطات الرومانسية بالتأكيد ليست ملائمة لها .

" سبق لى الخطبة ، ليس من زمن طويل مضى " ، أخبرت جيرالد ، وهى تعطى له فنجان القهوة . " إلى إيدن ويلموت . وبالطريقة التى آلت إليها الأمور ، تجعلنى لا أفكر فى الزواج طوال حياتى " .

www.zabanuna.com

" ويلموت ؟ " . كرر من ورائها ، وعبس وكأنه يبحث فى ذاكرته عن شىء بعيد عنه " ذكر جويس شيئًا من هذا القبيل - ألم يكن له كتاب حقق أعلى المبيعات ؟ " . " هذا صحيح . كتابه الأول . قام والدك بنشره - توليت الأمور عندما كان يحاول كتابة كتابه الثانى " أمسكت فنجانها ، تسير فى الغرفة على غير هدى ، تتذكر كم وجد إيدن صعوبة فى العمل ، وكيف حاولت أن تساعده ، وكيف بعد ذلك اعتمد أيدن عليها . كان بحاجة إليها وهذا الأمر لسارة يناسب طبيعتها المعطاءة .

" ثم ماذا حدث ؟ " . سألها جيرالد مستفسرًا ، يجلس على أحد المقاعد الضخمة ، وعلى فمه تعبير غاضب .

هزت سارة كتفيها . " المعتاد " . ولكن لم يوجد شىء عادى أو مألوف فى هذه القصة . كانت علاقتها مع أيدن وصلت إلى حدود الأمان ولكن لم تعلُ إلى الآفاق التى وصلت بها فى علاقتها مع إدوارد ساج .

تذكرت بألم كيف أخبرتها لوتى ، والدة أيدن ، كم يحتاج أيدن إلى الزواج . شريك يهتم به ، ليس مثل دونالد ، ابنهم الأخر الأكبر سنًا .

" لن يتزوج دونالد أبدًا " قالت لوتى ، ولكننى أعتدت على هذه الفكرة منذ فترة طويلة . فهى لا تقلقنى الآن - إنه مكتف ذاتيًا ، يرغب فى الاعتماد على نفسه - دائمًا على هذا الحال " . وكان

لدى سارة انطباع جلى بأنه على الرغم من شعور والديه بالفخر به ، وربما قليل من الرهبة من دونالد إلا أن أيدن هو الذى يحبونه أكثر . سألتهم سارة من قبل " إين دونالد ؟ هل سأقابله ؟ " . وأجابها إيدن مكفهرًا للمرة الأولى معها ، وقد ابتعد عنها وهو يهز كتفيه . " فى هونج كونج ، فى رحلة عمل ، ولا أريدك أن تقابليه ، لأنه يجذب اليه النساء كالفراشات إلى النار ، ولهذا أتمنى أن يبقى بعيدًا " .

من نفس نوعية إدوارد ، طردته سارة من مخيلتها . يكفيها ماعانته من هذا النوع الذى يجذب النساء . شعرت بالأمان مع إيدن ، لدرجة تجعلها تعتقد معها بإمكانية الحصول على زواج هادئ منسجم مثل زواج والديها .

كلاهما ميت الآن ، الزوجان المحبان المخلصان . ولاتزال سارة تفتقد إلى حبهما الخالى من الأطماع والذى كانت تجده فى أبرشية القرية الآمنة .

" بحق الجحيم وماذا تقصدين بكلمة " المعتاد " ؟ " . فاجأها صوت جيرالد نافد الصبر من ذكرياتها ، ليذكرها بوجوده . استندت بذراعها إلى المدفأة . تتذكر الحقيقة - الحقيقة التى هزت كيانها فى حينها عندما اتضحت أمامها قبل موعد الزفاف بشهرين .

" كان يعانى من بعض المشاكل " . أخبرته بتصلب وهى تنتقى كلماتها بعناية " استعنت بكل الطرق التى أعرفها لمساعدته ، ولكن كلما حاولت ، كلما عارض أكثر . " فى نهاية المطاف ، فسخت خطبتنا . هذه التجربة علمتنى أن لا أضع سعادتى بين أيدى مخلوق " .

" تقصدين بأنه سبب لك عقدة نفسية كاملة . حسنًا ، يمكن علاجها " . وقف على قدميه وكان صوته ساخرًا " لابد وأن هذا كله حدث أثناء وجودى فى الولايات المتحدة ، قبل قدومى لأنضم إلى أبى فى الوكالة . هل أفهم من هذا أنه انسحب من الوكالة بعد ذلك ؟ وجد وكالة أخرى ؟ هل تسببت فى خسارة ثمينة لنا ؟ " .

" لا " كانت عيناها الزمردتان خاليتين من التعبير " مات فى حادث سيارة فى تلك الليلة التى كان مقرر لنا الزواج فيها " . ومنذ هذا الحين وهى تحارب الشعور بالذنب عندما علمت بأنه كان شديد السكر أثناء قيادته السيارة بجنون فى تلك الليلة المحتومة . بالتأكيد ليس هذا خطأها ؟ ماذا كان يمكن أن تفعل أكثر من ذلك ؟

أخذت تكرر على نفسها بيأس وهى تشاهد جيرالد يخرج من الشقة ، بأنها لا تشعر بالذنب . ربما شعور بالحزن - نعم بالأخص على والديه ... ولهذه الموهبة الضائعة ، ولكن ليس شعورًا بالذنب . ضبطت المنبه على الساعة الرابعة والنصف ولكنها

استيقظت قبل أن يدق . وضعت ملاءات الفراش فى سلة الغسيل فى الحمام ، اغتسلت وارتدت بذلة مخملية مع بلوزة حريرية - ملابس مريحة أثناء السفر - قامت بتسريح شعرها فى ضفيرة سميكة مفردة . استخدمت مساحيق الزينة بقلة . وتناولت إفطارها المكون من كوب حليب وتفاحة . وبينما انغرست أسنانها البيضاء فى الفاكهة ، أخذت تراجع قائمة احتياجاتها ، لا تعتقد أنها نسيت أى شىء وتبقى لها أن تغلق محبس الماء والتدفئة المركزية .

قبل الخامسة والنصف بقليل تناهى إلى مسامعها صوت سيارة قادمة فى الشارع الخارجى الهادئ ، تبعها بعد ذلك رنين جرس الباب .

سيارة التاكسى وصلت ، تطلعت إلى ساعة يدها مندهشة . مبكرة عن موعدها عشر دقائق كاملة ، ولكنها على أية حال جاهزة . فتحت الباب حيث تنتظرها حقيبة السفر وكذلك السائق قال " الآنسة سارة سلوان للمطار ؟ " . كان وجهه فى الظل بينما انحنى ليمسك بأمتعتها ، صوته بارد ورسمى .

" شكرًا لك " رجعت إلى شقتها لتطمئن من وجود جواز سفرها ، التذاكر وشيكاتها المصرفية قبل أن ترتد معطفها الفرو القصير وتمسك بحقيبة صغيرة على كتفيها .

الآن بدأت تتطلع بلهفة إلى هذه العطلة ، بدأت تراها كفرصة للاسترخاء وللمتعة . وكذلك فرصة لتبتعد عن ملاحقة جيرالد المزعجة والتى من الممكن أن تتسبب فى توتر علاقتها برئيسها . يحترمها روجر أومارا كموظفة على مقدرتها فى اختيار الكتّاب الواعدين والذين يدرّون على الوكالة شهرة ومبالغ طائلة ، وكذلك طريقة تعاملها الدبلوماسى مع العملاء الذين يثيرون المتاعب . وهذا فن تعلمته من مساعدة والدها منذ الصغر فى مساعدة المحتاجين بالأبراشية . نعم ، يعجب روجر أومارا بها كشخص ، ولكنه يحب ابنه .

وإذا اعتقد بأنها تسبب التعاسة لجيرالد ، يمكن أن تجد نفسها بدون عمل ، عمل تستمتع به وتحبه ، ولهذا فهذه العطلة ستتيح لها ولجيرالد فرصة للتنفس ، وستستمتع بها . وبدأت بالفعل فى الشعور بدبيب السعادة فى عظامها .

يعم الظلام المنطقة أمام الأكواخ ، وكانت مضاءة بمصباح مفرد . تمطر السماء بشدة ، ومحملة الأمطار بقطع ثلجية صغيرة ، رفعت سارة ياقة المعطف عاليًا لتحمى وجهها من الصقيع . اتجهت إلى السيارة والتى وقفت فى الظلام بعيدًا عن المصباح الذى يضىء الشارع المبتل .

استقام السائق بعد أن رتب الأمتعة فى صندوق السيارة ، يبدو ضخم الجثة وخشن فى معطفه من جلد الغنم . يقف بنفاد صبر وهو يفتح لها باب السيارة وكأنه يعتقد بأنهما متأخرين وليسا مبكرين . وانحنى بحزم لها عندما دخلت إلى المقعد الخلفى . شعرت بامتنان للمكان الدافئ لتخلع عنها الإيشارب المبلل ولا تنظر إليه ، وأفكارها سعيدة ومرحة .

يبدو على السائق عدم الرغبة فى الحديث ، موقفه الصامت ربما يرجع إلى استيقاظه باكرًا فى تلك الساعة ليغادر فراشًا مريحًا ودافئًا فى صباح ممطر سيىء مثل هذا الصباح ، تركته لمزاجه العكر ، وأغمضت عينيها ، تنصتت إلى هدير المحرك وهسهسة الإطارات على الطريق المبتل .

تعتبر هذه العطلة أول عطلة حقيقية تأخذها منذ بدء عملها عند روجر أومارا . اعتادت على قضاء إجازتها مع والديها ، وأصيبت بحزن بالغ عند وفاتهما . وبعد ذلك جاء ايدن وبعد أن انفصلت عنه ، قررت أن تنتقل إلى مكان آخر . وعندما ورثت عن والديها بعض الأموال اشترت الكوخ الذى تقيم به الآن وأثثته وعملت له ديكوراته بعناية وأناقة والتى بدأت تستعين بها فى مظهرها - الملابس التى ترتديها ، والعطور ومساحيق الزينة التى تستخدمها .

الطريق خالٍ من المرور فى هذا الوقت من الصباح والسائق يدوس بقدمه ليقود بسرعة ، إذن ستصل إلى المطار ويتبقى لها وقت كبير لتناول القهوة وكذلك تتجول بين أرفف الكتب .

عندما أوت إلى فراشها ليلة أمس كان الوقت متأخرًا ، ونامت بأرق نومًا متقطعًا ، ولهذا فهى الآن تغمض جفونها بدون إرادتها وهى مسترخية فى المقعد الجلدى الخلفى المريح ، بينما تمر من أمامها أضواء الشارع بخفوت .

استيقظت لتجد أن الصباح بدأ يشرق ولا تزال السيارة تسرع بلا هوادة ، وسارة ، لا تزال تحت تأثير النعاس ، رأت إشارة طريق إلى أبيس ويتش ، قبل أن تمر بها سريعًا تحت أضواء الشارع . التفتت فى مقعدها ، تطلعت للخلف بسرعة لتعيد قراءة اللافتة ، لربما يتضح لها سوء إدراكها .

اعتدلت فى كرسيها ، محاولة قراءة الوقت ، ولكن داخل السيارة حالك الظلمة لم تتمكن من قراءة عقارب الساعة .

" أيها السائق " . انحنت للأمام لتهز كتفيه ، " تأخرنا عن موعدنا بالمطار ، أنا متأكدة أنى رأيت لافتة طريق إلى أبيس ويتش " .

وعن ثقة توقعت تأكيدًا منه بخطئها ، وشيئًا تضحك عليه بعد ذلك وتخبر أصدقاءها " كنت لا أزال غير واعية ، اعتقدت أنه سار فى اتجاه خاطئ يبعد حوالى مائة ميل " ، ولكنها بالتأكيد لم تتوقع أن يخيم صمت كامل بدون رد من السائق . ولمسة يدها على كتفه كأنها لم تكن .

وللمرة الأولى تتطلع إلى وجهه ، نظرة متفحصة لجانب وجهه فى الضوء الخافت كافية لتحولها إلى قطعة من الثلج ، ولتحبس أنفاسها حتى دق قلبها متسارعًا .

بدون تعبير ، قاس لم يخبرها بشيء سوى أنه نفس الرجل الذى تطلع إليها أمس بطريقة غريبة ، والذى أسر عينيها بعينيه لبرهة طويلة فى المطعم . فى كامل وعيها الآن بعد تلقيها تلك الصدمة . قالت بنبرة متعالية آمرة ، " ستفوتنى رحلتى ، وسأتأكد من إبلاغ شركتك بماحدث حتى تجازيك " . تجاهل تهديدها ، كما تجاهل حديثها من قبل . خيم صمت بارد ومخيف داخل السيارة مما جعلها تفزع وتشعر برعب هائل حاولت إخفاءه عن السائق .

لأن حديثه أصابها بالغثيان ، وكلماته تضمنت برودة ليس لها علاقة بالصقيع المخيم فى الخارج .

***

الفصل الثانى

" تناسى كل شىء عن رحلتك . لدى تخطيط آخر لك "

" بحق الجحيم ، ماذا تقصد ؟ أنا ..... " قاطع كلمات سارة بقوة ، ليزيد فى السرعة وعيناه لا تحيدان عن الطريق .

" لا تضيعى الوقت محاولة الهروب . كل الأبواب موصدة بإحكام " .

لم تجد أية إجابة على كلماته . يبدو وكأن قوة الحديث هجرتها . أصبحت تتحرك بدون عقل ، تقريبًا بدون جسد ، ترقد على المقعد الخلفى لتحملق فى مساحات المطر لتبعد نطف الثلج على جوانب الزجاج الأمامى للسيارة . فقط دقات قلبها الثقيلة أخبرتها بأنها لاتزال مخلوقًا آدميًا .

هذا جنون . لا تعرف هذا الرجل ، ولا تستطيع إدراك لماذا قرر أن يخطفها . ولكن بإعياء ، تذكرت كيف تطلعت إليها هاتان العينان القاسيتان السوداوان ليلة أمس ، كما لو كان يتمنى تقطيعها إلى شرائح صغيرة . انتابها إحساس داخلى بأنها ليست بغريبة عنه ، ويعرفها جيدًا .

" ماذا ستجنى من وراء هذا ؟ " . صوتها ، عندما تحدثت أخيرًا ، مجرد صوت رفيع ، ليس بصوتها ، لا يبدو وكأنه ينتمى إليها ، وبدا ذهنها كمخلوق تائه غريب عنها ، والأفكار التى تدور فيه غريبة تمامًا عنها ، ولطريقة حياتها ، اختطاف ؟ هذا سخيف ! والداها ليسا من الأغنياء ، وليس لديها حبيب ثرى يمكن أن يدفع لها فدية ليضمن رجوعها بسلام .

" إذا كنت تقصد أن أدفع لك نقودًا .... " مرة أخرى تتكلم بصوت ليس لها أية علاقة به " - إذن لقد اختطفت امرأة خطأ - لا يوجد أحد يدفع لك الدية " .

يتساقط الثلج كما لو كان يزيد من كآبة الموضوع ، الطرق خالية فيما عدا اقتراب سيارة نقل صغيرة ، لونها أخضر فى بياض الطريق ، تزحف . أخذت سارة تدق بيديها المغلفتين فى القفازات على النافذة فى محاولة لجذب انتباه سائق السيارة النقل .

لمحت وجه المرأة عندما اقتربت السيارتان من بعضهما ، تقود المرأة بتركيز شديد على الطريق المبتل من أمامها . لم تلاحظ صرخات استغاثة سارة . هذا جعل سارة تشعر كما لو أنها لم يعد لها وجود . وفى يأس شعرت برغبة قوية فى البكاء . التفتت فى مقعدها لتبدأ الحديث إليه ، إلا أنها فقدت توازنها واصطدمت برأسها فى خلف مقعد السائق عندما توقفت السيارة فجأة وضغط على فراملها بقوة .

كانت لا يزال نصفها على الأرضية ، والنصف الآخر على المقعد ، عندما انفتح الباب ووقف أمامها ـ مطبقًا شفتيه بقوة ، يدخل الهواء البارد محملاً بقطع ثلج صغيرة .

" اخرجى " .

رفعت إليه عينين ممتلئتين بالفزع ، وعينان تتطلعان إليها فى برودة الطقس وبتركيز قاس . سيطرت سارة على نفسها . جسمانيًا لا يمكنها مجاراته ، ولكنها لن تستسلم له بسهولة . لديها ذهن ، وحان الوقت لتستخدمه .

ليس لديه النية ليطلق سراحها ، هذا آخر شئ يدور فى ذهنه ، ولهذا يجب عليها أن توجد الفرصة للهرب . رفعت جسدها إلى المقعد ، حركاتها غير رشيقة فى تلك المساحة المحدودة ، انزلقت بعناية فى اتجاه الباب المفتوح حيث يقف ، ينتظرها بنفاد صبر واضح فى كل خط من هذا الجسد الطويل ، الأمر .

إذا كانت على أهبة الاستعداد للهرب يجب عليها أن تنتهز أية فرصة لتفاديه ، وتجرى مثل الريح وتجعل من فرصة نجاتها أمرًا يتعلق بالموت أو الحياة ، حاولت سارة أن تتصور حركاتها مهزوزة ومرتعشة .

ولكنه كان يبدو إما أنه قد قرأ ما فى ذهنها أو أن له ذهنًا مثل الليزر ، لأنها عندما قالت لنفسها الآن ! أجرى ! امتدت يد قوية وقبضت على ذراعها اليسرى ولم يمكنها أن تفلت من تلك القبضة الحديدية ، " ستذهبين حيث آخذك . ستبقين حيث أضعك . وإذا كانت لديك بعض الأفكار الخاصة بك ، تناسيها . " الوحشية الباردة فى نبرة صوته ، والسيطرة التامة ، لمستا نقطة عميقة بداخلها ، وجعلتاها تشعر بالغثيان . وبدون وعى أخذت توجه له لكمات بقبضتيها على صدره ، وأقدامها على أقدامه .

" اهدئى يا امرأة " . بالتواءة بسيطة بيده التى تمسك بها أبعدها عنه ، أمسكها جيدًا وهى تتلوى فى قبضته ، تدعو الله أن تمر بهما سيارة .

ربما دعاؤها الصامت المعذب وصل إليه ، أو ربما كان يدرك فرصة مرور سيارة فلم يخاطر ، ولهذا أجلسها فى المقعد الأمامى للسيارة ، جذبها بعنف عندما دقت بكعبيها فى الأرض بتصميم ليدفعها على مقعد السائق .

" اجلسى هنا حيث يمكننى أن أضعك نصب عينى . لا مزيد من حيلك " . شعرت بالإهانة تغمرها عندما دفعها مثل جوال البطاطس ، نسيت سارة فزعها منه لتؤنبه .

" هل أنت دائمًا هكذا شديد القسوة ؟ هل هذه هى الطريقة التى تفزع بها الناس ؟ " غمرها الفزع مرة أخرى عندما قابلت عيناها الخضراوتان اللامعتان عينيه الباردتين المتفحصتين ، أشاحت برأسها بعيدًا ، شحب وجهها بشدة بينما قام بتشغيل محرك السيارة مرة أخرى .

أخبرها . " شدى حزام الأمان ، لن أستخدم العنف إلا إذا اضطررت إلى ذلك . إيذاؤك هو آخر شئ بذهنى " .

كان صوته خفيضًا ، وعميقًا ، مما أرسل برجفة أسفل ظهرها . حملقت سارة فى شريط الطريق الملتوى من أمامها ، لازال الثلج يتساقط . شعرت بجفاف حلقها وشفتيها متصلبتين ولكنها أجبرت الكلمات على الخروج ، وهى تعلم بأنه لا يوجد شىء يمكنها أن تفعله حتى تجعله يخبرها عن أى شىء لا يريد الحديث عنه .

" إذن ماذا يجول فى ذهنك ؟ لا يوجد أحد ليدفع لك الفدية " .

" لا أهدف إلى الربح ماليًا من ورائك . هذا كريه بالنسبة لى كما هو بالنسبة لك . سأطلق سراحك بمجرد أن أنتهى معك " .

بسرعة ، وبدون تصديق حملقت إلى جانب وجهه . على درجة عالية من الوسامة ، يركز فى القيادة فى أسوأ ظروف للطقس ،

لا يوحى وجهه بأى شىء . إذا لم يكن ينوى احتجازها لحين دفع فدية أو إيذائها ، إذن ماذا ؟ اغتصاب ؟

التوى قلبها برعب مفاجئ وتطلعت إلى يديها ، يلتويان بقلق معًا فى حجرها . ولكنها أخذت تفكر بمنطق وشعرت براحة كبيرة لأنها مازال قادرة على التفكير المنطقى . إذا كانت نية الاغتصاب فى ذهنه لكانت لديه الفرصة المثالية عندما فتحت له الباب مبكرًا .

أخذ الموقف يزداد سوءًا وإبهامًا فى كل لحظة . لماذا يفعل سائق تاكسى مع راكبة مثل ما يفعله معها ؟

إلا أنه بالتأكيد ليس بسائق تاكسى .

الليلة الماضية ، أثناء تناول العشاء ، أعطت جيرالد تفاصيل - تفاصيل سمعها هذا الرجل . قالت له سيحضر إليها التاكسى فى الخامسة والنصف ، وذلك عندما عرض عليها جيرالد توصيلها إلى المطار . فاحتفظ هذا الرجل بتلك المعلومة ، ووصل إليها مبكرًا حتى يضمن لنفسه عدم حضور السائق الحقيقى قبله ، وقال لها " الآنسة سارة سلوان للمطار ؟ " . وهذا ما حدث . ولكن لماذا ؟ .

منذ مضى بعض الوقت ، مرا بأبيس ويتش ، وسارا فى الطريق الجانبية - ربما بسبب محاولتها السابقة الفاشلة فى جذب

الانتباه ؟ تساءلت متعجبة . وفى نهاية طريق ترابى ، سمعت شهقة نفاد الصبر منه قبل أن يلتفت شمالاً فى شريط ضيق ثلجى يبدو وكأنه لا يؤدى إلى مكان مأهول .

الكوخ الريفى أمامها يبدو مهجورًا ، محاطًا بالأشجار ، وعلى سقفه الثلوج . وكأنهما الشخصان الوحيدان المعزولان فى العالم كله ، فكرت بهذا وهى ترتجف ذعرًا .

" أين تعتقد بأنك تأخذنى ؟ " . صوتها ملىء بالضيق والغضب والرعب .

" فى الوقت الحالى ، إلى الكوخ الماثل أمامك . لدى فى ذهنى مكان مختلف تمامًا " .

لاحظت بحدة ، أن قوله لا يفسر أى شىء . فى هذا الوقت تتجه طائرتها بدونها إلى مراكش . لن يلاحظ غيابها أحد إلا بعد ثلاثة أشهر على الأقل ، وهذا التفكير أرعبها . تمنت لو تعرف ما يدور فى ذهنه الملتوى .

" ما اسمك ؟ " . ربما تستطيع التقرب منه ، تحاول خلق بعض الألفة بينهما . العداء منها لن يساعدها معه . ولهذا فوجئت عندما أجابها فى الحال ، وإن كان بصوت قاس .

" والدو روث " .

" والدو " . تعجبت ، وعن عمد تمارس عليه حيلة " هذا غير مألوف " . ولكنها لم تتلق أى جواب ، من المحتمل أن هذا ليس باسمه الحقيقى . سيكون أحمقًا إذا كشف عن هويته الحقيقية ، وهو بالتأكيد ليس بأحمق .

مضى عليها وقت اعتقدت بأنه لن يهتدى إلى الكوخ ، أينما هو مكانه ، حيث يضيق الشريط الثلجى أكثر وأكثر ، ويصبح الثلج أكثف وأعمق ، ولكنه يقود السيارة بمهارة ، يجب أن تعترف بذلك ، يتعامل مع السيارة وكأنها كائن حى .

ثم فجأة وخلال السحب المتراكمة من الثلج المتساقط رأت الكوخ ، لابد وأنه الكوخ المتجه إليه ، لم تر أى كوخ آخر على مدى البصر . كان فى الجانب البعيد فى بحر لا متناهى من البياض ، حوائط من الصخور السوداء تدعم سقفًا محملاً بالثلوج . صغير ، وليس به أى أثر للحياة .

دق قلبها عندما توقف بالسيارة " سنسير من هنا . الثلوج تغطى الطريق المخصص لسير السيارة " . الآن على شكل معاكس لم ترغب فى مغادرة السيارة حيث الأمان .

كانت خائفة - مرعوبة ومتحيرة قليلاً - ولكنه على الأقل لم يلمسها ، وربما فقط عندما أمسكها من المقعد الخلفى ليجلسها بجانبه

فى المقعد الأمامى . وهذا ليس رغبة منه فى جلوسها بجانبه . كان يريد فقط التأكد من عدم محاولتها لجذب انتباه شخص آخر مرة أخرى . ولكن هنا فى الخلاء ، فى هذه المنطقة المنعزلة فى الشتاء ، يمكن حدوث أى شىء .

كان السير قاس ، على الرغم من أن الرجل الذى قال إن اسمه والدو روث يحمل حقيبتها ، وبيده الأخرى يقبض على ذراعها ، ليساعدها وهما يغوصان فى قطع الثلج الناعمة والتى تصل إلى نصف الساق .

كانت يده التى تقبض على ذراعها غير متشددة . هذا أدهشها ، فلمسته تشبه لمسة الصديق بجانبها يساعدها على مشقة السير بين الثلوج . ولكنها تعلم أنها إذا قامت بأقل محاولة لتبتعد عنه تفر هاربة ، سيحكم من قبضة يده لتتحول إلى قيد حديدى .

لم تشاهد أى دخان يخرج من المدفأة الوحيدة ، والباب الأمامى موصد وعندما مد يده فى جيبه ليخرج المفتاح تساءلت إذا كان هذا هو الوقت المناسب للهرب . ولكن بينما هذا التفكير طرح فى ذهنها ، قال متشددًا وببرود " لا تحاولى الهرب . لن تبعدى أكثر من ياردتين " إذن هو قادر على قراءة أفكارها ، أرعبها هذا ، وجعلها تقف ملتاعة وهو يفتح الباب . أدخلها ووضع حقيبتها على

الأرض ويبدوأن هذه هى حجرة المعيشة . لم تر أى رواق ، مجرد غرفة منخفضة السقف ، مؤثثة بأناقة ، باردة مع مدفأة صخرية واسعة حيث لا يوجد نيران تحترق ، رجعت سارة للخلف إلى الباب المغلق ، الموصد وكأنها تنشد البقاء بالقرب من الحرية والأمان . لابد وأنه قرأ الفزع فى عينيها الخضراوين لأنه قال ، فى نبرة ناعمة لم تسمعها منه من قبل " لن أؤذيك ، وإذا لم يتحسن الطقس سريعًا سنضطر إلى قضاء وقت طويل معًا محبوسين هنا ، إذن من الأفضل لكلينا أن تتوقفى عن التطلع إلىّ مثل الأرنب المذعور " .

حثتها تلك الكلمات على هجر الفزع واستعادة روحها المناضلة ، تلون خداها بحمرة الغضب .

" كيف تتوقع منى أن أبدو ؟ سعيدة ؟ خطفنى مجنون سمع بالصدفة أننى أتوقع وصول التاكسى فى تمام الساعة الخامسة والنصف هذا الصباح ، ليأخذنى فى الريف مثل جوال البطاطا . تخبرنى بأنك لن تؤذينى ، وأنك لا تنتظر من أحد أن يدفع لك فدية لاختطافى إذن ما هى نيتك ؟ على أية حال ، أليس لديك شىء أفضل تفعله لقضاء وقت فراغك ؟ " .

" لم يحدث شىء بالصدفة . أعرف كل ما أريده أو أحتاجه لأعرفه عنك ، يا سارة سلوان . أعرف بالضبط متى ستغادرين

الوكالة ، موعد الرحلة ، الموعد المحدد لحضور التاكسى لك وأين تقيمين . كانت مجرد صدفة أنى جلست فى المائدة المجاورة لك وحبيبك المنتظر المرفه الليلة الماضية " .

هذا جعلها هادئة بينما سار إلى المدفأة ، ليحرك النيران فى الفحم والأخشاب . أعطاها الفرصة للتفكير أكثر وربما جعلها أكثر رعبا . يعرف اسمها ، أين تعمل ، تواريخ عطلاتها ، رقم الرحلة ، الموعد المحدد لوصول التاكسى ، كل هذا يعنى بأنه كان يراقبها منذ فترة زمنية كبيرة .

فكرة أنه كان يتجسس عليها وعلى حياتها الخاصة شىء مرعب ، وأسوأ منه الطريقة التى خطفها بها . زاد من روعها . هذا الفعل لم يكن فعلاً وليد اللحظة ، قام به رجل مجنون ، ولكنه بناء على تخطيط مدروس بدقة وعناية .

ولكنه لم يضع فى حسبانه العاصفة الثلجية . لم يتم التنبؤ بها .

ونتيجة لذلك ، مهما كانت خططه مدروسة بعناية ، فقد فشلت ولابد من إيجاد فرصة ما للهرب ، إلى مكان ما .

أشعل النيران الحمراء فى ظلام المدفأة ، أضاف قطعًا خشبية صغيرة ، ثم وقف ينفض يديه .

" ماهذا المكان ؟ " خيم على الغرفة توتر واضطراب وشعرت سارة برغبة فى الصراخ . ولكن صوتها ، لدهشتها ، خرج ثابتًا وقويًا .

خلع عنه معطفه ، وعلقة فى مشجب بالباب والذى يؤدى إلى مكان آخر بالكوخ ، وقال لها " هذا المكان هو المكان الذى أحضر إليه عند حاجتى إلى الهدوء . منعزل ، هادئ ، لا يوجد جيران بالقرب منك .

ولا تنظرى باشمئزاز من حولك ، المكان متحضّر جدًا - مياه من الصنبور ، كهرباء ، لن تشعرى بالزهد هنا تمامًا " .

أخطأ تلك المرة فى قراءة أفكارها . بالفعل بدأت تشعر بمبادئ هستيريا داخلية ولهذا لن تسمح لها بالتفكير بمنطق .

كانت فى حاجة إلى هدوئها وعقلانيتها إذا أرادت الخروج من هنا بأقل خسارة ممكنة وهو ضياع عطلتها .

كأنه بقوله بانعزال الكوخ هو أبلغ قول بأن لا تتوقع نجدة من أى أحد بالخارج . لا يوجد غيرهما بمفردهما فى أرض فضاء مغطاة بالثلوج . تطلعت إلى جسده المخيف النابض بالعضلات ، عرض الصدر وقوته والأكتاف من تحت السويتر السميك الذى

يناسب فى لونه السروال البندقى الذى يرتديه ، حتى شعرت بالخوف يجمدها فى مكانها .

أخذ يزيح حذاءه وجواربه المبتلة ، تطلع إليها ، جانبيًا ، لا تكشف ملامحه الكلاسيكية وعيناه السوداوين عن الذى يختلج فى نفسه .

" أعطينى معطفك ، ومن الأفضل خلع حذائك المبتل " .

" لا " . قالت مرتجفة من الداخل ، فمها جاف ، سار فى اتجاهها حافى القدمين على السجادة الناعمة ، طويل ، قوى ، شديد الرجولة ، تحيط به هالة من الخشونة .

احتبست أنفاسها فى حلقها ، توقف بثبات صامت الآن ، عينه بدون تعبير فى وجه كساه فجأة الإرهاق .

" أؤكد لك بأننى لن أوذيك . ألا تستطعين إدراك هذا ؟ " .

" إذن ، لماذا أنا هنا بهذا المكان " . رجعت للخلف مرة أخرى لتلتصق بالباب بقدر استطاعتها . تعرف أنه من الجنون إظهار خوفها إلى هذا الحد ؛ لأن هذا مايريده ويستمتع به ، ومثل أى شىء مدمن عليه يريده أكثر ..... وأكثر .

www.7akawwla.com

" صدقيني ، فأنا لا أريدك هنا . ولكن ليس لدى أى اختيار . لم يكن فى استطاعتنا إكمال الرحلة ، ليس فى تلك الظروف السيئة للطقس . إذن يجب علينا التعامل مع هذا الموقف بهدوء ومعايشته لمدة يوم أو يومين . الآن سأذهب لأصنع بعض القهوة لنا ؛ نحن بحاجة إلى كوب من القهوة بالتأكيد " .

تحدث بهدوء ، وكان يبدو على مظهره الهدوء ، ولكنها تعرف بأنه لا يشعر بالهدوء . اعتقدت أنه من الأفضل أن تترك الأمور كما هى عليه ولا تحاول إثارة عداوته فى الوقت الحالى ، ولكنها لم تستطع أن توقف سيل الكلمات التى وجهتها إلى ظهره وهو متجه إلى المطبخ .

" أية رحلة ؟ إلى أين بحق الجحيم تنوى أن تأخذنى ؟ " .

لم يجبها ، ولكنه أكمل سيره حافى القدمين من الباب الذى شجب عليه معطفه ، وبعد برهة شعرت سارة بعضلاتها المتوترة تسترخى قليلاً مما جعلها تبعد قليلاً عن الباب .

بعد ذلك بلحظات ، تناهى إلى سمعها صوت خطواته من أعلى ، على الأقل تعتقد أنه هو ، فلا يوجد أى دليل على وجود أحد آخر فى هذا المكان .

وبسرعة ، على الرغم من أنها تعلم بأن هذا غير مفيد ؛ لأنها رأته وهو يوصد الباب بالمفتاح ويضع المفتاح فى جيوبه ، حاولت فتح الباب . كان مغلقًا بإحكام ، بالطبع . جرت إلى النافذة وحاولت فتحها ولكنها مغلقة بأقفال الأمان .

المطبخ - الاضطراب يقودها الآن - لابد من وجود باب خلفى به . وبناءً على صغر حجم الكوخ ، كما اتضح لها من الخارج ، لابد وأن المطبخ يقع خلف هذا الباب الذى سار من خلاله منذ قليل وصدقت توقعاتها . كان لدى سارة الوقت الكافى لملاحظة مطبخ مؤثث على الطراز الحديث لم تتوقعه فى كوخ بهذا الحجم . تطلعت إلى أعلى لتقرأ الساعة المتوقفة عند الثانية والربع قبل أن تسمع خطوات قدميه تنزل الدرج الذى يؤدّى إلى أعلى من جانب فجوة المدفأة فى جدار المطبخ والتى تضم موقدًا حديثًا بالكهرباء .

شعرت باليأس يصيبها بصداع فرجعت إلى غرفة الجلوس ، أغلقت الباب وارتمت بجسدها عليه لتلتقط أنفاسها قليلاً .

يوجد باب خارجى آخر . وهو كذلك ، حسنًا لم تتح لها الفرصة لمحاولة فتحه ، ولكن بالتأكيد لا بد وأنه موصد . لا يوجد مفر من أنه تأكد من إغلاقه ، لن يتركها بمفردها فى حالة عدم إغلاقه جميع

المنافذ أمامها . لقد بذل جهدًا شاقًا ليغيب عن ذهنه شيء تافه هكذا .

تنهدت ، ترتجف من الداخل بشعور ممزوج بالبرد والخوف والكآبة سحبت مقعدًا صغيرًا بالقرب من المدفأة ، وجلست عليه ، حملقت في ألسنة النيران المتصاعدة ، مكتئبة بحجم أفكارها الضخمة . لم تسمع وقع أقدامه عند دخوله إلى الغرفة حتى اخترق صوته العميق الضباب الذي يخيم على أفكارها .

" ستشعرين بفائدة النار والتدفئة أكثر إذا استطعت أن تتركي معطفك الفرو الثمين " .

التفتت ، مديرة ظهرها إليه ، وخلف رأسها شعرها الأسود الكثيف . ثم شعرت بتنهيدته العميقة ، كما لو كانت صادرة منها هي .

وفي الثواني التالية ، أخذت يدين قويتين تزيحان المعطف عن كتفها . تلقائيًا ، قاومته محاولة ضم المعطف إليها ، ولكن قوته وتصميمه أكثر من قدرتها . راقبته بتبلد وهو يعلقه بجانب معطفه على الباب .

" حذاؤك " وبدون أن ينتظر أي اعتراض ، انحنى أمامها ، بيد يمسك ساقها ، بينما بالأخرى يخلع حذاءها المبتل عن قدمها المتجمدة . راقبته بذهول عندما أمسك بين يديه قدمها النحيلة المكسوة بجوارب نايلون وأخذ يدلكها بنعومة محاولاً تدفئتها وإرجاع الإحساس إلى قدمها . وعلى الرغم من مقاومتها ضد هذه المشاعر ، وجدت الأحاسيس ممتعة ومبهجة لدرجة غريبة ، وازدادت أكثر عندما لمس أطرافها وكأنه يداعبها بأطراف أصابعه النحيفة ... تطلعت بشدة إلى أعلى رأسه المنحنية السوداء ، شعره المجعد قصير جدًا . انتشر هذا الشعور اللذيذ المثير للدفء ، ليغمرها . وعلى الرغم من أن التوتر لا زال يسود بينهما ، عرفت بأنه تغير وتبدل قليلاً .

حينئذ رفع رأسه ، كما لو كان قد شعر بالتغير الذي طرأ عليها ، وقابلت السؤال الذي يتوهج في عينيه السوداوين وشعرت بشيء يلتوي عميقًا في داخلها . أدركت هذا الشعور ، واشمأزت منه ، سحبت قدمها من قبضته المتراخية الآن .

" أستطيع مساعدة نفسي - شكرًا لك " . انحنت لتسحب من قدمها الأخرى الحذاء ، بينما وقف مبتعدًا ، وقال لها بصوتٍ جاف .

" لا أستطيع تقديم أى طعام لك حتى أرى ما بداخل الثلاجة ، ولكننى صنعت بعض القهوة " .

أحضر معه الصينية ، كانت على منضدة صغيرة من خلفها . لم تسمعه وهو يحضرها معه لأنها كانت صماء عن كل شىء فيما عدا يأسها وحزنها . ولكنها الآن على وعى وإدراك كاملين مرة أخرى . اختلط وجودها مع إحساسها القوى بهذا الرجل كعدو لها . يبدو الآن لها أكثر خطورة عما كان من قبل . رد فعلها القوى للمساتة قالت هذا كله لها .

تناولت كوب القهوة منه بضيق ، هزت رأسها نفيًا عندما قدم لها السكر ، راودتها فكرة إلقاء هذا السائل الساخن فى وجهه ثم تفر هاربة ، ولكن إلى أين ستهرب . لا يمكنها المغادرة من خلال الأبواب المغلقة .

كانت القهوة قوية وساخنة وسادة ، تجرعتها باضطراب وهى تشعر بأنه يراقبها . قالت وبدون أن تنظر إليه " ارتكبت خطأ بإحضارى إلى هنا . بمجرد عدم ظهورى فى المطار ، أصدقائى الذين من المفروض مقابلتهم سيبدأون فى القلق . فى الوقت الحالى ، لابد وأنهم يبحثون عنى فى الشقة فى شركة التاكسيات التى اتصلت بها لحجز .... " .

" أعرف بأنك تسافرين بمفردك " . قال بصوت يدل على الملل لمجرد محاولتها التفكير مرتين فى احتجازها هنا " على رحلة الساعة السابعة وخمس وثلاثين دقيقة من جيت ويتش . قولك عن أصدقاء فى انتظارك كذب . وفرى كلامك " .

بالتأكيد لم يهمل شىء من واجباته . راقبته بكراهية فى عينيها وهو يتجرع القهوة من فنجانه ، ثم وضعه على الصينية . " يجب علينا العمل إذا قررنا الحفاظ على أنفسنا فى دفء ونتناول وجباتنا " أخبرها بهذا وهو يتجه إلى الباب " هيا تعالى معى " .

" لماذا ؟ " إذا توقع منها أن توقد النيران وتطهو طعامهما ، إذن سيرى كيف ستترك كلاهما ليجمد ويجوعا قبل ذلك . التفت وتعبير العناد باديًا فى عينيها الخضراوين ، مما جعله يتكلم لتخرج الكلمات من بين أسنانه .

" لأننى أريدك أمامى ، لا تغيبى عن بصرى . تحركى " .

أحست برغبة قوية فى عناده لأنه إذا أراد تعاونًا من جانبها فلن يناله عن طريقها .

تقدم نحوها بنظرة تصميم فى عينيه مما جعلها تقف سريعًا بإكراه ، ليس بإكراه شديد يجعله يتطلع من حوله ليشدها من شعرها ويسحبها من ورائه . وقفت على قدميها .

كما لو أنه أحس بالرضا ، التفت ثانية ، ليسير من خلال هذا الباب ، وسارة منحنية الرأس ، يتحرك جسدها الرشيق بسهولة ، لتمسك بأحد الأسياخ الخاصة بالمدفأة بيدها اليمنى ، وتسير من خلفه تمامًا فى المطبخ بينما سار إلى الباب فى الجانب الآخر من الغرفة ، يده فى جيبه يبحث عن المفاتيح .

سارة تكره أى شكل من أشكال العنف ، ولكن ليس لديها خيار . حتى هذا جعل حركاتها ثقيلة وغير رشيقة . لابد وأن اشمئزازها مما تفعله وصل إلى هذا الرجل الطويل القوى ، لينبهه ، لأنه التفت فجأة ، وارتفعت إحدى يديه لتتفادى الضربة القوية من ذراعها المرفوع . ضغط على أصابعها مما أجبرها على التخلّى عن السيخ الحديدى من يديها . اتسعت عيناها من الدهشة بينما سقطت قطعة الحديد الثقيلة على الأرض محدثة ضجيج .

" لديك طبيعة شريرة يا امرأة " .

اندهشت كثيرًا لأنه لا يبدو عليه الغضب وبالتأكيد ليس مندهشًا . وكلماته عادية وكأنه توقع منها كل هذا .

" ماذا تتوقع منى أن أفعل ؟ " . قالت مرتجفة ، شاحبة ، عيناها لامعتان براقتان ، وصوتها أجش بينما أخذت تدلك معصمها حيث قبضَ بأصابعه على العظام بقسوة . " أشكرك على إجبارى للحضور إلى هنا ؟ " .

تطلع إليها وأجاب انفجارها برفع إحدى حاجبيه بسخرية . زاد التوتر فى الغرفة ، أحاطهما ، مما جعلها ثابتة فى مكانها . يمتلك جمال رجولى قوى ولكنه مغلف بالعنف . تبدو على وجهه أمارات السيطرة ، وفم آمر وعاطفى التوى باحتقار وهو يتطلع إليها .

" لن أتوقع أى امتنان منك لكوب من الماء إذا كنت تحتضرين من العطش " . اصطك بأسنانه " اعتاد نوعك على أخذ كل شىء ، ولكن على مايبدو يجب أن أخبرك لماذا أنت هنا ، وإلى أين سآخذك معى - ولماذا . للأسف " قال بمرارة " كنت أتمنى أن أفاجئك أولاً ؛ لأننى إذا كنت صارحتك من قبل ربما كنت بحثت عن وسيلة للاختباء . ولكن إذا لم أخبرك لن نجد الوقت لفعل أى شىء ولا أنوى تضييع وقتى بمراقبتك كل ثانية ربما تنوين الاقتراب منى مرة أخرى ونيتك هذه المرة ، القتل " .

***

الفصل الثالث

سحب الرجل المدعو والدو روث أريكة مبطنة من الجلد قريبًا من المدفأة وأحنى رأسه لها " تفضلى اجلسى ، سأجلس من بعدك " تحرك فمه بسخرية ، " صدقينى هذا سيؤلمنى أكثر مما سيؤلمك " .

جلست على مضض ؛ تتسع الأريكة لشخصين ، ثم انضم إليها جالسًا على الأريكة . ابتعدت قليلاً وهى تشعر بكيانها كله بوجوده قريبًا منها ، أصرت على أسنانها غيظًا . هاهو ذا سجانها ، الرجل الذى يريد إذلالها ، ولكن الآن ، بل أكثر من ذلك ، ينبثق لها كرجل شديد الرجولة . شعرت بأنها تأكدت من كونه الإنسان الوحيد معها فى هذا السجن الشتوى . تقريبًا ، بدأت تشعر باعتمادها عليه فى موقف لم تجد نفسها فيه من قبل .

هاجمتها رجفة خفيفة ، حاولت إيجاد حقها الشرعى لها . سيخبرها الآن لما فعل بها هذا ، ربما يكون الدافع أسوأ مما تظن . استند للخلف فى أحد أركان الأريكة ، مد رجليه باسترخاء من أمامه ، بينما شبك يديه بين ساقيه .

يبدو عليه الاسترخاء ، ولكن ليس لديه سبب آخر ليبدو غير ذلك ، فكرت سارة بغيظ . ولكن تلك العينين السوداوين بعيدتان

تمامًا عن أى مظهر من مظاهر الاسترخاء ، بل شديدتا التركيز على وجهها للحكم على رد فعلها .

" قصدت من هذا المخطط أن لا يستغرق أكثر من يوم واحد ، ولكن ، كما تعرفين بالتأكيد ، سوء الطقس . كنت أنوى إجبارك على زيارة لوتى ويلموت . بعد ذلك لكِ كامل الحرية للرحيل ، الذهاب فى رحلة طيران أخرى إلى مراكش ، للاستمتاع بعطلتك " .

" لوتى ؟ " . تغض حاجبيها الناعم تساؤلاً . هذا هو آخر شىء توقعت سماعه منه . سرى الارتياح بجسدها . إذن هولا يقصد بها أى أذى على أية حال . تنفست بعمق ، صوتها رفيع وهامس ، تعلقت عيناها وقالت ، " لم يوجد مبرر لتتصرف مثل المافيا . لماذا لم يكن تخبرنى بأن لوتى تريد رؤيتى ؟ لو أخبرتنى لذهبت بالطبع بدون تأخير " .

لطالما أحبت لوتى ويلموت . والدة أيدن ، إنها إمرأة جميلة ، وللأسف شديدة الحساسية . وزوجها ، دافيد ، نسخة مكبرة من إيدن فى الشكل ولكن ذات شخصية قوية لم يمكن لإيدن المسكين أن يصبح مثله . ورث إيدن شخصية والدته الحساسة وعن والده المظهر . بعد وفاة إيدن ذهبت سارة فى الحال لزيارة لوتى ودافيد فى منزلهما الريفى المريح بالقرب من يورموث العظمى ، كانت

لوتى فى حالة هستيرية ، وتلقى باللوم على سارة لقضاء ابنها نحبه . لم يستطع إيدن التغلب على صدمة رفض سارة له . إذن من سيلومه إذا احتسى الخمر بشراهة فى نفس الليلة التى كان من المقرر فيها إقامة حفلة زفافهما ؟ وكذلك إذ لم يكن فيها شديد التعاسة ومكتئبًا لما قاد السيارة بتلك السرعة الجنونية . لم يكن الخطأ خطأه ، بل هو خطأ سارة .

لم تر سارة أسرة إيدن منذ ذلك الحين . لم يوجد مبرر من وراء ذلك . رؤيتهما مرة أخرى وسيزيد من بؤسهما ، وعلى الأخص بالنسبة للوتى ، ولكن إذا عرفت بأن السيدة الأكبر سنًا تريد رؤيتها لتركت كل شىء وهرعت إليها . أعادت عليه قولها وبتصميم أكيد ، " بكل سرور لذهبت إليها فى أى وقت " .

" أوه ، تأكدة ؟ " . التوى فمه من عدم التصديق والاشمئزاز " لم تزوريها سوى مرة واحدة منذ وفاة إيدن ثم أسرعت بالانصراف " . وقف على ساقيه . يهيمن بطوله عليها ، بينما نظرته غاضبة . " مضى عليها وقت احتاجت إلى رؤيتك ولكن لم تجد فى نفسها الشجاعة لتطلبك لأنها تعرف بأنك لن تهتمى . هذا من شهور مضت .

مؤخرًا ، أصبحت زاهدة فى كل شىء . ولهذا إجبارك على رؤيتها هى فكرتى . سأجبرك على أن تلقى نظرة عميقة ومتفحصة على ما تسببت فى حدوثه . حان الوقت لتقابلين وجها لوجه الدمار الذى تسببه نساء من نوعيتك " .

كان قد وصل إلى الباب المؤدى إلى المطبخ قبل أن تتمكن من استجماع شتات أفكارها وإيجاد إجابة شافية لتساؤلاته .

أجابها باقتضاب . " الآن تعلمين بأنك لست فى خطر ، يمكنك مساعدتى هنا فى الكوخ . سأقطع بعض الأخشاب للتدفئة حتى تكفينا طوال الأربع والعشرين ساعة التالية بينما تطهين لنا الطعام " .

فقالت على الفور " لا " . ربما أجابها على سؤالها الخاص بسلامتها ، وأراحها من مخاوفها لهذا الأمر . ولكنه أوجد لها مخاوف أخرى ، تقريبًا مخاوف محيرة ، وكذلك قضى على أحلامها بقضاء عطلة سعيدة وجعلها تمر بحالة من الفزع . إذا أراد الطعام إذن يمكنه أن يطهو لنفسه وجبة .

" يا إلهى ، يالك من امرأة شديدة العناد " . النظرة السوداء التى ألقاها بها قاتلة . " جعلنا سوء الأحوال الجوية نستقر هنا بدلاً من يورموث . سبق وأخبرتك بكل هذا . ولكنى لن أبدى لك الأسف

على كل ذلك ، لأنك بالنسبة لى تستحقين ما يحدث لك . الأخشاب بالخارج والطعام غالبًا فى الثلاجة . نحن فى حاجة للدفء وللطعام .

ربما تعتقدين بأنى سأقوم بكل شىء من أجلك " التوى فمه بسخرية متوحشة " أنا لست إيدن وبالتأكيد لست جيرالد أومارا . الآن هيا تحركى ونفذى ما أخبرتك به " .

تحركت سارة . إذا لم تفعل ما أمرها به ، سيجبرها على طاعته ، وهى لا ترغب بيديه تلمسانها ، ولكنها شمخت برأسها عاليًا وسطعت عيناها بغليان الغضب وهى تمر من جانبه .

" حسنًا ؟ " احتدت قائلة " أين مكان هذا الطعام الذى من المفروض أن أعده لك ؟ " .

" فى هذا المكان " أشار بإصبعه إلى الثلاجة بينما يرتدى معطفه من جلد الغنم والذى أحضره معه إلى المطبخ . فتح الباب الذى سبق واعتقدت أنه يؤدى إلى الخارج ، ارتدى حذاءه السميك وخرج بدون أن يلقى عليها نظرة أخيرة . بجانب ثلاجته الثمينة توجد غسالة ملابس ومجفف ، إذن هو يفضل الرفاهية عند حضوره إلى هنا .

ارتعدت سارة من البرد عندما أغلق الباب من ورائه ، ولربما ارتعشت أكثر من تأثيره عليها وليس من البرودة . ثم التفتت إلى الثلاجة بغضب لتتفحص محتوياتها . أخرجت خبزًا وفطيرة بيتزا . ثم وبعد تفكير عميق شريحتين من لحم البقر لأنه ، الملعون ، لابد سيطلب منها إعداد العشاء كذلك .

ألقت بالطعام على منضدة المطبخ بضيق ، لاحظت أنه ضبط ساعة الحائط بالمطبخ . تقريبًا الواحدة ظهرًا . الآن عندما فكرت أكثر اعترفت لنفسها بأنها جائعة للغاية . تبدو وجبة الإفطار التى تناولتها من زمن بعيد ومن عالم آخر .

وضعت فطيرة البيتزا بالفرن والتفتت باحثة حولها عن طاولة العجين لتجهيز الخبز ، اختارت علبة للشوربة ووضعت محتوياتها فى وعاء ثم وضعتها داخل المسخن الكهربائى لتسخينها . حركاتها سريعة وغير متقنة بسبب الغضب الذى لا يزال يسكنها . دخل إليها والثلج يغطى رأسه وكتفيه ، وذراعاه ممتلئتان بالأخشاب ، وقال بصوت يعكس سعادته " ألا زلتِ غاضبة ؟ " .

التفتت مواجهة إياه بغضب ، المرارة تغضب ملامح وجهها ، والحيرة فى صورتها " تسببت فى ضياع عطلتى والتى انتظرتها بلهفة طوال الشهور الماضية ؛ أخبرنى بالله عليك ألا يحق لى

الغضب ؟ " ولكن الحقيقة لم يكن أمر العطلة يهمها . ولكن ضياع اتزانها وكذلك احترامها لذاتها . ندبت حظها بمرارة لضياع هذين الشيئين البالغى الأهمية ، لأنها لاتزال تتذكر بوضوح مشاعرها التى اهتزت تحت وطأة لمسته ، الإثارة السريعة التى سارت فى عروقها عندما بدأ يدفئ قدميها المتجمدتين بيديه الماهرتين القويتين ...

" ياللأسف ! " . احتك بها أثناء سيره إلى غرفة الجلوس بالأخشاب للمدفأة ، أتى إليها صوته بفظاظة ، " تسببت فى خسارة فادحة ، أكبر بكثير من مجرد عطلة ، للوتى ودافيد " .

أصابتها الهزيمة برده عليها ، وبدأت حرارة غضبها تذبل لتترك مكانها خواء باردًا .لاتفهم عماذا يتحدث .

لم يكن خطؤها موت إيدن - إذا كان يقصد بقوله فقدانهما للابن . بذلت أقصى جهدها من أجل إيدن ؛ ولكنه لم يبذل مجهودًا ليعرف بذلك .

وماذا يهمه فى هذا الأمر ، على أية حال ؟ أين هى الصلة ؟ يجب عليها اكتشافها لأن ملاحظاته تكاد تقودها إلى الجنون . لا بد وأنه تحرى عن حياتها الخاصة بدقة وعلاقة جيرالد بها واللقاءات التى تتم بينهما فى الخارج من وقت لآخر .

بثبات ، سكبت الشوربة فى أوعية صغيرة ، وأخرجت فطيرة البيتزا من الفرن ، الجبنة بأعلاها ذهبية اللون ، وعندما رجع مرة ثانية إلى الغرفة أخبرته بجمود " الغداء جاهز " .

تناولا الغداء سريعًا ، وعلى الرغم من الرعب الذى أصاب سارة صباحًا ، كانت جائعة للغاية . وكذلك المدعو والدو يبدو عليه أنه يريد الإسراع حتى يكمل مايقوم به قبل حلول الظلام فى الخارج .

بعد ذلك ، سألته بعدما أبعدت أدوات المطبخ التى استخدمتها " من أنت ؟ وما علاقتك بعائلة ويلموت ؟ " .

" والدو روث ، سبق وأخبرتك بذلك وعائلة ويلموت عائلتى . لابد وأنه مجنون أو أى شىء آخر .

" أنت مجنون " أخبرته وهى تحرك الأطباق إلى المجفف " لدى لوتى ودافيد ويلموت ولدين ، دونالد وإيدن ، إيدن ميت . ودونالد آخر مرة سمعت عنه كان فى هونج كونج . إذن يا سيد روث أى ابن أنت ؟ " .

" الأمر فى منتهى البساطة " لهجته هادئة مما جعلها تشتعل غيظًا " تبنياني دافيد ولوتى عندما كان عمرى تسع سنوات . على

ما أعتقد لم يعجبوا باسم والدو ، ولهذا غيروا اسمى إلى دونالد ، ولكنى أفضل اسمى الحقيقى " .

" إذن أنت دونالد " . هزتها تلك الصدمة ، لم تتوقع أى شىء من هذا القبيل . أغلقت المجفف والتفتت مواجهة إياه . لايزال يجلس إلى المائدة ، يسترخى للخلف فى مقعده ، أنيقًا باعتداد ، عيناه مسمرتان عليها . يبدو شديد السيطرة ببرود ، لايكشف وجهه ما يختلج فى نفسه . وتأكدت فى تلك اللحظة ماذا كانت تقصد لوتى عندما قالت بإنه مكمل لذاته .

يفضل الوحدة والاعتماد على نفسه فى الحياة ، لايحتاج إلى أحد . يصنع قوانينه الخاصة به وهاهى ضحية إحداها .

" والدو ، أوأيًا كان اسمك ، لايزال هذا لايفسر اختطافك لى ، أو لماذا على لوتى أن تطلب رؤيتى الآن " .

" صدقينى ، لا تريد رؤيتك " . وقف ، طويل ، قوى ، كراهيته لها شىء مُجسد فى الشكل والمادة . تشعر بها ثقيلة وحادة بينهما . أمسك بمعطفه ثانية ، وحذائه السميك " لا تهتم لوتى كثيرًا برؤية أحد الآن . منذ وفاة إيدن أصبحت تنزوى بعيدًا . وبما أنك قتلت ابنها كما لو أنك صوبت رصاصة إلى رأسه ، سأتأكد من وضعك أمام ما فعلتيه أو تسببت فيه " .

" لم أفعل شيئًا " . شعرت بالغثيان بسبب مرارة الكراهية فى صوته ، ولكن لديها كبرياؤها الذى منعها من التوسل إليه ، أو إخباره بخطئه .

" لا يفعل النساء من نوعيتك شيئًا ، أليس كذلك ؟ " تحرك فى اتجاه الباب ، ظهره العريض يعلن رفضه لها " تأخذين كل شىء تستطيعين الحصول عليه - حب ، إخلاص - ثم تقذفين به بعيدًا مثل وعاء مكسور بمجرد أن يصيبك الملل ، لا تهتمين كثيرًا بالفوضى التى تتركينها من خلفك . حسنًا ، هذه المرة سأتأكد من مواجهتك بعواقب تصرفاتك الأنانية . سأتأكد من ذلك إذا كان هذا آخر شىء أفعله على وجه الأرض " .

لم تره سارة ثانية إلا عندما بدأ الضوء بالخارج يخبو . بعد أن غسلت الأطباق وألقت ببعض الأخشاب التى أحضرها من قبل فى المدفأة . استرخت على الأريكة فريسة لأفكار محيرة ومرهقة .

سبتها لوتى بألفاظ نابية كثيرة ، ولكم أحبت لوتى ابنها إيدن جدًا ، ولهذا احتقار أو كراهية لوتى لها فى هذا الوقت لم يصبها بالدهشة كثيرًا ، مع أنه جرحها كثيرًا . لابد وأن لوتى غمرت والدو برأيها الخاطئ عن شخصية سارة ، فقرر هو بدون التحقق من صحة هذا الرأى معاقبتها .

لا توجد فائدة من محاولة الهرب . الباب الأمامى مغلق وسيراها حتمًا إذا حاولت الخروج من الباب الخلفى . محاولة الهرب ستثبت فشلها لأنه على وعى ويقظة بتلك الإمكانية .

تحركت فى مكانها بقلق ، تتطلع من فوق كتفها إلى النافذة . لايزال الجليد يتساقط بكثافة ، ليغطى التلال . تنهدت وقفت ، تمطت ،ضغطت على زر المصباح ثم عبرت الغرفة فى اتجاه الستائر لتسدلها ضد ضوء الشفق بالخارج .

وقفت بجسدها الرائع فى بدلتها الضيقة ذات اللون البندقى ، ومن خلفها النافذة ، تصلبت عندما سمعته يدخل الغرفة ويلقى بالأخشاب التى قطعها فى المجمع الحديدى .

وقفت سارة بدفاع ، عيناها تتطلعان إليه بدون أن تنزلها عندما تطلع إليها بنظرة سوداء باردة . النظرة التى ألقاها عليها مهينة وكأنها تلخيص لتفحصه جسدها .

وبما أنها تعتقد بأن الهجوم أفضل وسيلة للدفاع ، شمخت بذقنها ، كشفت عن عنق طويل جميل ، قالت بحدة صارخة :

" ماذا إذا كنت فسخت خطبتى مع إيدن ، ولكنك لم تكن موجودًا . كنت فى هونج كونج . إذن من أعطاك الحق لتضع نفسك فى مكان القاضى ، والمحلفين ، والمنفذ للحكم ؟ " .

" كان إيدن أخى . هذا يعطينى الحق " . أحضر زجاجة مشروب الكوكاكولا ، تطلع إليها متسائلاً " هل تريدين بعض الكوكاكولا ؟ " .

هزت رأسها نفيا بنفاد صبر ، أخذ مشروبه ، جلس بمقعد ، عيناه مثل قطعتين من الثلج الحاد فى وجه منحوت من حجر الجرانيت .

" أعطانى دافيد ولوتى كل شىء . منزل ، عاطفة ، شعور بالحق فى الوجود ، أعطانى هدفًا أعيش من أجله . فى الحقيقة ، هو الشخص الوحيد الذى أعطانى كل شىء " - " أنا لا أتحدث عن الأشياء المادية . والذى فعلتيه لإيدن ، وعواقب هذه الفعلة . أنك تغيرت من امرأة ناعمة وحساسة إلى إمرأة غير مبالية بما يحدث من حولها . كل هذا يعطينى الحق " .

شعرت بالبرودة تجتاحها من كراهيته الهائلة والغير معقولة . تركت الغرفة . لأنها تعرف بالتأكيد أنها إذا جلست معه فى نفس الغرفة ، ستبدأ بالصراخ - وهذا ليس أسلوبها ؛ لن تقلل من شأنها .

قالت بحدة من فوق كتفيها ، " سأطهى شرائح لحم البقر ثم سأوى للفراش . قاسيت اليوم أكثر مما أحتمل فى يوم واحد " .

لم تكن سارة جانعة ، ولكنها عندما تقوم بالطهى ، ستقوم بعمل شئ . بمجرد أن تتناول عشاءها ، ستأوى إلى الفراش ، لتبتعد عن وجوده الكريه المرير ثم تقرر ماذا ستفعل .

معدات التزحلق موجودة بحقيبتها ، وإذا انتظرت حتى ينام ، لتبحث فى أشيائه عن مفتاح الباب الخارجى ، إذن حينئذ يمكنها الهروب من هنا . يمكنها السير على الجليد حتى تصل إلى المناطق المأهولة بالسكان ، بالطبع لن يكون نزهة ولكن عزمها وتصميمها سيمكنانها من ذلك .

دخل المطبخ بينما تضع شرائح اللحم تحت الشواية سألته وهى لا تزال تفكر فى خططها ، " أين وضعت حقيبتى ؟ " .

" بأعلى . وإذا أردت استعمال الحمام فهو ناحية الشمال بأعلى السلالم . وستجدين حقيبتك فى غرفة النوم فى الناحية اليمنى . سأراقب شرائح اللحم " .

وجدت حقيبتها حيث أبلغها بمكانها ، بجانب فراش كبير إحدى جوانبه إلى الحائط . حجرة النوم كبيرة ، باردة ، مؤثثة بأقل الضروريات ، ولكن الأثاث ذو جودة . تدل على ذوق رجالى .

www.rakaw.com

بحثت سارة فى حقيبتها عن الأشياء المنظفة للبشرة ، تذكرت وجودها بحقيبتها الصغيرة بأسفل ، نزلت بالدور الأرضى مرة ثانية ، متجاهلة ابتسامته الوقحة ولكنها أجابته " متوسطة " عندما سألها كيف تحب شواء شرائح اللحم الخاصة بها وتركته لتعتلى السلالم لأعلى . إذا كان يتوقع تصرف عادى متحضر من جانبها إذن يجب أن يعيد التفكير مرة ثانية .

اغتسلت ، وأعادت تزيين وجهها ؛ لأن ثقتها بحاجة إلى كل دعم يمكنها الحصول عليه . كما بأسفل ، النوافذ مغلقة بأقفال حديدية وليس لديها أى فكرة أين تجد المفتاح الخاص بها . ولماذا تقفز من نافذة إذا كان يمكنها أن تخرج من الباب ؟ يحتفظ بالمفتاح فى الجيوب الخلفية من سرواله . يمكنها العثور عليه عندما يأوى إلى الفراش .

عبست ، توقفت فى خطواتها وارتدت للخلف فى الحيز الصغير فى أعلى السلالم ، تأكدت من أسوأ مخاوفها . لا يوجد سوى غرفة نوم واحدة ، إذن يجب عليها أن تنام على الأريكة الصغيرة بالطبع لن تستريح بجسدها ذى الخمسة أقدام وسبع بوصات . على أية حال ، لايهم هذا الآن ، لن تبقى سوى لليلة واحدة فقط حتى تتأكد

من استغراقه فى النوم . فى مثل هذا الوقت فى الغد ستكون فى شقتها - أو ربما فى مقعدها فى الرحلة التالية إلى مراكش .

ولكنه - توقفت مرة أخرى بأعلى السلالم - إذا كان قد أخذ حقيبتها بأعلى ، إذن احتمال أنه يعنى أن يجعلها تنام فى الفراش . وعندما تخيلته وهو يعانى فى نومه على الأريكة الصغيرة - لا بد وأنه ستة أقدام وبوصتين أو ثلاث - ظهرت ابتسامة شماتة على شفتيها .

هذه هى المرة الأولى التى تبتسم فيها هذا اليوم . كانت لا تزال تبتسم عندما دخلت إلى الغرفة فى أسفل . لا بد وأنه فسّرها على أنها ابتسامة تقدير لأنه بذل مجهودًا للعشاء أكثر مما فعلت أثناء إعداد وجبة الغداء .

غطى المنضدة بمفرش من الكتان أبيض اللون وبه زهور حمراء صغيرة ، ووجدت كذلك كئوس ومشروبات مختلفة ، قطع الخبز إلى شرائح جذابة فى سلة الخبز ، ووضع شرائح اللحم مزينة بقطع الطماطم والبازلاء المجمدة ، سحب لها الكرسى وهنأها بابتسامة تجذب قلب أية امرأة لا تعرفه ، ولاتعرف حدود مقدرته ، جلست على الكرسى ، وقالت " أنا لست جائعة " أرادت أن تثبط من عزيمته . تفضل أن تعاديه على أن تتعامل معه بلطافة .

" كما ترغبين . إذا كنت تستطيعين النوم على معدة خاوية ، وهو كذلك . ومن أنا لأجادلك ؟ " .

جلست إلى المنضدة ؛ لأنه يبدو أنه من الغباء الوقوف ، وكان من الممكن أن تذهب إلى حجرة الجلوس وتتركه مع عشائه ، ولكنها لم يطرأ على ذهنها هذا فى حينه وكذلك ما قاله عن النوم على معدة خاوية جعلها تفكر . لن تنام الليلة ؛ ستسير فى ظروف غير عادية وسيستغرق هذا منها وقتًا طويلاً قبل أن تستطيع تناول وجبة أخرى .

تجاهلت بعناد نظرته التى تقول " قلت لك " بينما تمسك بالشوكة والسكين . ولكنها رفضت المشروبات .

" أعرف بأنك لست ثرثارة " علق بسخرية " هل يجب عليك التصرف بطفولية ؟ " .

كانت تسيطر على نفسها بعناية منذ آخر مشاجرة بينهما ، لأنه لم يبد أية فائدة من تفسير أى شىء يتعلق بحديثه . مهما قالت ، لن ينصت إليها . إذا كانت لديه أفكار تخص خطوبتها إلى إيدن ، لن يغير منها شيئًا . ولكن قوله عن كونها تتصرف مثل الأطفال جعلها تثور بغضب ، قذفت بالشوكة فى الطبق . طارت سيطرتها على

نفسها ، لمعت عيناها بكراهية وقالت ، " إذا كان يوجد إنسان بالغ بعقل طفل هنا أيها السيد فهو أنت . لا تعرف أى شىء عنى ، لا شىء ! إذا كنت تعرف الحقيقة عنى لما أحضرتنى إلى هنا " . " بل أعرفك جيدًا " . إذا كان غاضبًا فلم يكشف عن هذا الغضب . بل استند بظهره إلى الخلف مسترخيًا " سألت أسئلة ، بالعشرات ، ودائمًا تأتينى نفس الإجابات . أنت مثل طفل جميل جشع - تمتصين عواطف الرجل من اتجاهك وتتركينه بدون أن تهتز لك شعرة ، ثم تنتقلين إلى رجل آخر . لا تستثنى القاعدة عن الرجال المتزوجين ، أليس كذلك ؟ هل تسببت فى خراب بيت أسرة ساج أم رجع ادوارد إلى زوجته ؟ لم أحفر ورائك فى هذا الأمر " ، شعرت باشمئزاز وقرف . " إذن يمكنك أن تخبرينى الآن - أم أنك لا تهتمى بتلك الأمور التافهة ؟ " اجتاحت سارة كراهية عميقة مشتعلة لم تعتقد من قبل أن يتملكها شعور بتلك الكراهية تجاه أى شخص .

إذن ، استفسر وسأل أسئلة عن حياتها الماضية وأتى بنتائج خاطئة . كرهته بدرجة لم ترغب معها فى إيضاح أى شىء له ولتغطى الشعور بالبغض والكراهية ، ضغطت على أسنانها قائلة " لابد وأن هذا كلفك الكثير . أتمنى أن تعتقد بأنك حصلت فى المقابل على ما تستحق " .

وبدون أن تنتظر ردًا دفعت الكرسى للخلف ووقفت . لا يمكنها الانتظار أكثر من هذا للهرب من هنا . أعادت تفكيرها فى السفر إلى مراكش للاستمتاع بعطلتها ، وقررت بدلاً من هذا الذهاب إلى محامين لمقاضاته . ستقاضيه حتى ولو كان هذا هو آخر شىء تفعله فى حياتها ، ستجعله يدفع ثمنًا غاليًا ويستمر فى الدفع .

" سأوى إلى الفراش " ذهبت إلى الباب . الوقت باكر ولكن لن تبقى بأسفل معه دقيقة أخرى ، ستبدأ فى الصراخ فى أية لحظة الآن .

لديها كتاب جيد فى حقيبتها ، وهذا بالتأكيد سيساعدها على البقاء مستيقظة حتى تتأكد من نومه وتهرب من الكوخ . لن يوقفها شىء .

لم يقل لها " ليلة سعيدة " . ولم تتوقع منه أن يقلها . صعدت إلى الدور الثانى وهى تكاد تشعر بالارتياح لدنو رحيلها لأنها لن تراه مرة ثانية ، ربما فى المحكمة فقط . سآخذ مفاتيح سيارته كذلك حتى تقذفها فى الجليد بعيدًا ، لن يتمكن من إيجادها مرة أخرى .

ساعدها حمام ساخن على الاسترخاء قليلاً وكذلك على تمضية بعض الوقت . ارتدت روب حمام ربما يخصه لأنه معلق بالباب فهى لم تضع فى حقيبتها أى روب حمام ولن تشعر بالراحة فى ملابسها العادية إذا كان عليها الاستلقاء لساعات فى الفراش فى انتظار نومه .

شعرت بالدفء والراحة فى طيات الروب وإن كانت تفضل لو أنه لا يحمل عطره الخاص به ولكنها يجب أن تتجاهل هذا .

تطلعت من نافذة حجرة النوم ، لتراقب الطقس . على الأقل توقف تساقط الجليد . ويغطى ضوء القمر الأرض المحيطة بالأسود والفضى . ليلة صافية ذات برودة شديدة ارتجفت سارة وأخذت كتابها وغطست تحت الغطاء السميك الوثير ولكنها لم تتمكن من الاستغراق فى القراءة لانشغالها بقصتها الخاصة . الحقيقة أن والدو روث حفر عميقًا فى حياتها حتى عرف شيئًا عن ادوارد ساج ، هزها ذلك بشدة . ولا تزال ترتجف من أثر هذا .

وضع تفسيرًا خاطئًا لما اكتشفه ، خلق سببًا آخر ليلوث به شخصيتها ، تذكرت بداية معرفتها بادوارد ساج . كانت لا تزال ساذجة فى التاسعة عشرة من عمرها ، حضرت إلى لندن حديثًا لتعمل فى وظيفتها الجديدة - كسكرتيرة صغيرة فى شركة للنشر ، جلست مع ادوارد فى نفس الأريكة بالحديقة تتناول طعام الغداء كل يوم . بدأ معها بالحديث . وبعد أيام قلائل سألها فى الخروج معه لمشاهدة فيلم بالسينما كانا يتناقشان عنه .

كان جذابًا ، حسن المنظر ، وعاملها بطريقة خاصة جعلتها تشعر بأنها إنسانة مختلفة . وبعد ذلك لم يمض وقت طويل قبل أن

تقع فى حبّه . قال لها إنه يحبها ، وبالنسبة لسارة هذا معناه الزواج ، أخذت ببراءة وسذاجة تخطط فى عقلها لكل شىء حتى لحظة إخبار والديها بالأمر وفرحتهما لها ، حتى فستان الفرح الأبيض .

لحسن الحظ ، ظلت تلك الأحلام سجينة فى رأسها . فى إحدى الليالى عندما سألته متى سيقابل والديها قبل الزواج ، ضحك وقال لها إنه متزوج بالفعل واتهمها بالسذاجة وبأنها مصيدة . خرج من حياتها ولم يعد إليها مرة ثانية .

والدو روث يتهمها بأنها المذنبة . لا يوجد أى عدل فى هذا الأمر .

تقريبا بعد مضى حوالى ساعة سمعت والدو يصعد السلالم ويذهب إلى الحمام . وتمنت لو أنه يأوى إلى فراشه بسرعة ؛ لأنها تجد صعوبة فى أن تبقى مستيقظة فترة أطول . كانت مستيقظة منذ الرابعة والنصف صباحا ويومها ملئ بالأحداث الغريبة . وتبغا لوالدها بأن الذى حدث لها اليوم هو اختبار من الله العلى القدير .

ابتسمت بنعومة عندما طرأ والدها على ذهنها . لن تتوقف أبدا عن افتقادها لوالديها ، حنانهما وحكمتهما ، ولكن ألم فقدانهما مر خلال المرحلة الانتقالية لها لتصبح بعد ذلك عرفانا بالجميل على قضائها لحياة أسرية سعيدة سابقة معهما .

تشعر بالدفء والراحة فى الفراش الكبير . بعد أن تسمع صوت أقدامه وهو ينزل السلالم ستقرأ فصلاً ثانيا من الكتاب ثم ترتدى ملابسها وتجلس على السلالم حتى تحكم بأنه نائم . أبعدت عن ذهنها فكرة عدم راحته وشعوره بالأرق لصغر حجم الأريكة . سمعت باب الحمام وهو يفتحه ، أراحت ظهرها للخلف باسترخاء وراحة لبرهة ، وبينما تنصت بشدة فى انتظار نزوله إلى أسفل . تجمدت فى مكانها وتصلبت عندما فتح والدو روث باب غرفة النوم ودخل ببرود وثبات ، يرتدى بنطلون بيجاما فقط وصدره عار .

" إذن هو هنا " . تعلقت عيناه السوداوين بما يظهر من الروب من تحت الغطاء لترتفع قليلاً مراقبة وجهها المحمر غضبا ، الشعر الأسود المنتشر على الوسائد . " أنت مرتدية الروب " .

سار بتمهل إلى الفراش ، لا تصدر قدماه الحافيتين صوتا على السجادة الأفغانى الرائعة . شعرت بجفاف مفاجئ فى حلقها ، تطلعت بعينين واسعتين إلى صدره العارى من أمامها متسائلة .

" إذا خرجت الآن " تمكنت أخيرا " سأعطيك روبك من خلف الباب " . وبأصابع مرتجفة لملمت أطراف الروب إلى صدرها وكأنها خائفة على أن يجبرها على خلعه من أمامه .

" احتفظى به إذا كنت تشعرين بالبرد " قال : " ولكن تنحى قليلاً ، المكان هنا شديد البرودة " بدأ بالفعل فى رفع الغطاء " اخرج من هنا أيها الحقير " .

" لن أفعل " . تطلع إليها من خلال عينين ضيقتين . " توقفى عن تمثيل دور الفتاة الخجولة أنا أعرف أنك لست بخجولة والآن ابتعدى شيئاً ما . أم يجب على أنْ أزيحك قليلاً ؟ " .

سمعت نبرة التهديد فى صوته مما جعلها تشعر بغثيان ، ولكنها قابلت عينيه بتحد ، لا تجرؤ على إنزال عينيها قليلاً حتى لا تتطلع إلى صدره العارى بافتتان مرة أخرى . " لن تنام معى ، فلا تفكر فى هذا . إذا لمستنى سأقاضيك بتهمة الاغتصاب " .

" ومن قال بإنى أريد لمسك ؟ " . دل خط فمه الرفيع على نفاد صبره " أنوى النوم فى فراشى ، ولا تقلقى ، أنت آخر إمرأة على الأرض أريد لمسها " .

" هذا الشعور متبادل كلية " . صرخت فيه مندهشة ، ولا تعرف لماذا . بدأت بالخروج من الفراش بالفعل .

" سأنام على الأريكة الصغيرة بأسفل " .

" لن تفعلى " . يدان قويتان أمسكتاها ، وأزاحتها فى الجانب البعيد من الفراش ، ثم تبعها ليجلس فى المكان الدافئ الذى كانت تقبع فيه . جلست سارة متوترة ، مرتجفة من الغضب والكراهية ، كراهيتها له تزداد مع كل برهة تمر .

" إذا كنت لا تنوى أن تلمسنى كما قلت وكنت آخر إمرأة على سطح الأرض ، إذن لمَ لا تدعنى أنام على الأريكة بأسفل ؟ " .

خيم صمت ثقيل لفترة طويلة ولم تستطع مقاومة عدم التطلع إليه من خلال شعرها الأسود الثقيل ، رأت شبح إبتسامة تلمس شفتيه البارزتين قبل أن يمد يديه ويضغط على زر الإضاءة .

وقع كتابها على الأرضية بصوت مكتوم بينما تحركت الأغطية قليلاً وهو يستلقى على ظهره ، ثم أخبرها بهدوء لن تنساه أبدًا ،

" لأننى لا أثق بك فى أن تكسرى نافذة بأسفل وتفرين هاربة . نويت أن آخذك إلى يورموث ولا أنوى أن أسير فى الجليد بالخارج بحثًا عن إنسانة غبية . إذن استلقى وتوقفى عن النواح واهدئى حتى أستطيع الحصول على قسط من الراحة " .

***

الفصل الرابع

صمت مخيف فى الغرفة ، فيما عدا صوت تنفسه المنتظم العميق . جلست سارة متوترة الظهر على الوسائد ، بالقرب من الحائط كلما أمكنها ذلك بقدر استطاعتها بدون أن تتسلقها ، لتحملق فى ظلال ضوء القمر على الحائط .

بصعوبة لم تجرؤ على التنفس ، كما تفعل فى حركتها ، من الخوف أن توقظه من نومه . رقد مديرًا لها ظهره ، مستريحًا ودافئًا فى هذا الجزء من الفراش والتى دفئته من قبل ، بينما تجلس القرفصاء مثل لوح من الثلج ، وعزة نفسها مبعثرة .

ياله من وغد !

ستتأكد من أنه يغط فى النوم قبل أن تتحرك لتخرج من الفراش . لتزحف من فوق جسد هذا الوحش بدون أن تزعجه سيصعب من الأمر آلاف المرات عما كانت تتصور ، ولكن كل ما تريده فى أعلى حقيبة سفرها ، الجاهزة ، يمكنها سحبها ثم ترتديها بأسفل . ثم يجب عليها أن تبحث عن المفاتيح . بالتأكيد ليست معه الآن فى الفراش ، هذا شىء مؤكد ! .

أحمر وجهها خجلاً فى الظلمة الفضية وهى تتذكر جمال جسده القوى العضلى . تحرك فى نومه وكأنه شعر بمسار أفكارها قد اخترق أحلامه ، ليزعجه ، أمسكت عن تنفسها . ألا ينام هذا الوحش أبدًا ؟ .

اقتربت بحذر وهدوء ناحية مؤخرة الفراش ، تجمدت فى مكانها تكاد تصرخ غيظًا ، عندما سمعت هذا الصوت الكريه ، ويدل على اسيقاظه الكامل ، " توقفى عن الحركة يا امرأة " .

رجعت للخلف منهزمة ، توقفت عن المحاولة ، فى الوقت الحالى فقط ، زحفت إلى ظهر السرير . تكاد تصرخ غيظًا وكمدًا ، ستمضى عليها ساعات طوال قبل أن تحين فرصة أخرى للهرب . من الواضح أن هذا المخلوق الكريه ينام وإحدى عينيه مفتوحة .

بالإضافة إلى كل هذا ، تشعر ببرودة شديدة ، تئن من البرد فى جميع أنحاء جسدها ، ومتصلبة من محاولة عدم القيام بأية حركة خشية إيقاظه ، وشديدة التوتر لتقاوم إغراء الراحة والدفء ، أراحت ساقيها الطويلتين تحت غطاء الفراش ، ودفنت رأسها فى الوسادة الناعمة .

بالطبع والدو يستولى على ما هو أكثر من حقه من الفراش ، وتمنت لو لكمته فى أضلاعه لتحثه على الابتعاد قليلاً ، ولكنها ضغطت على أسنانها غيظًا .

بدأت تستريح وتسترخى وتستسلم لإغراء الدفء ، الدفء من غطاء السرير والأكثر الدفء من جسد الرجل النائم بجانبها .....

استيقظت سارة قليلاً من نومها العميق ، رمشت بعينيها ، تبذل مجهودًا لمجرد فتح عينيها . لا تزال تسود الظلمة فى الغرفة ، ولكنها استدارت بعينها تتطلع إلى النافذة لتكشف عن سماء بدأت تضيىء قليلاً . أوه ولكنها شديدة النعاس ودافئة جدًا وتغمرها الراحة . فى داخلها تشعر بأنها يجب عليها القيام بشىء غير سار . ولكن سرعان ما تلاشى هذا الشعور فى غياهب السرور . وعندما استيقظت مرة أخرى كان الضوء يعم فى الغرفة وجسدها مسترخ عن سرور واستمتاع ليس له علاقة بالنوم .

تحرك والدو ؛ هذا هو أول انطباع لديها ؛ جسده القوى الرجولى يحتضنها بذراعه . جسدها بأكمله على وعى تام بالجسد القوى الذى على هوية منها .

تعرف سارة ماذا يحدث لها . إذا كان يمكنه التأثير عليها وهو نائم ، كم سيصبح تأثيره أعظم ، إذا كان مستيقظًا .

لم يحدث أى رجل هذا التأثير عليها منذ تلك الأيام المجنونة عندما كانت تعتقد أنها تهيم غرامًا فى أدوارد ساج .

يجب عليها التخلص من تلك القبضة المخجلة ، لا تهتم الآن إذا أيقظته أم لا ، التوت بجسدها مبتعدة ، تضم أطراف الروب إلى صدرها بينما قفزت من فوق جسده النائم . ولم تكد قدماها تلمس الأرض حتى أوقفها تعليقه الساخر :

" هل تخرجين من فراشك دائمًا مثل الفيل الصغير ؟ " . ثم أعقبها بتساؤل كسول ، " كيف حال الطقس اليوم ؟ " .

لم تجبه سواء على تعليقه الساخر أو تساؤله الكسول . تشعر بأنها لا تزال تحت تأثير الأحاسيس التى أثارها فيها وهو نائم . وأدارت إليه وجها ذا تعبير عنيد نذير بالثورة ، وهى تبحث فى حقيبتها عن ملابس ترتديها هذا الصباح .

" سارة - " لهجته خطيرة النعومة ، توقفت يداها وأدارت إليه عينين غاضبتين وبدون إرادة تطلعت إلى صدره العارى لتشيح بوجهها بعد ذلك خجلاً عندما رأته قد رفع نفسه على الوسائد .

" يجب علينا فى الأيام المقبلة التعايش فى انسجام وسلام ، كما ترين ليس لدينا فرصة للرحيل عن هنا قبل أن يتحسّن الطقس

ويذوب الجليد قليلاً ، ألا تعتقدين أنه من الأفضل إعلان هدنة سلمية بيننا فى تلك الأيام ؟ " .

وجدت الملابس التى تريدها الآن ، اعتدلت واقفة ، جسدها متوتر ، وأعصابها تضغط عليها بالانهيار . كل هذه الفوضى من أعماله . أجبرها على الحضور إلى هنا ، أجبرها على مشاركة فراشه ، ولكنه هاهو هنا يتشدق بكلمات ناعمة ناصحًا إياها على قبول هدنة للتعامل كأصدقاء . يالله من تصرف رجولى متغطرس لم تعطه الفرصة ليعرف مقدار غضبها وثورتها ، خرجت من الغرفة وكادت تنفجر غيظًا عندما سمعته يقهقه ساخرًا .

بعد ارتداء ملابسها . أعادت سارة تمشيط شعرها على هيئة ضفيرة مرة أخرى ووضعت قليلاً من مساحيق الزينة . أسرعت بالنزول قبل أن يبدأ فى الطرق بنفاد صبر على الباب متهمًا إياها باستغلال الحمام فترة طويلة . احتاج مزاجها إلى منفذ لتنفث عن نفسها قليلاً ، لهذا اقتحمت المطبخ ، أشعلت المدفأة ، وضعت الخبز فى المسخن الكهربائى وصنعت قليلاً من الشاى فى وعاء فخارى بنى اللون .

يالك من حقير يا والدروث ! إذا كنت تعتقد بأن بضعة كلمات على هيئة الشعارات ستغيرها إلى مخلوقة مسالمة ، تشع ضياءً ولطافة ، مسامحة بكل شىء . " لا ، ياوالدو ، لا أهتم بعطلتى

السخيفة ، ولا الرعب الذى عرضتنى له ، ولا لجزء بسيط ، ولهذا لا تفكر للحظة أنى ألومك " . إذا كان يتوقع منها هذا القول إذن فى انتظاره مفاجأة ضخمة ! . كيف يمكنه أن يتوقع أن تنس كل ما فعله لها ، تجهز له وجباته ، تشاركه فراشه ، تتحدث إليه ببشاشة وبهجة ؟ .

ولكن على الرغم من غضبها ، أخبرها صوت داخلى صريح بأنه ليس كذلك . متغطرس ، مسيطر ، عديم الإحساس ، مهين ، عنيد ، غير محتمل - ولكنه ليس بحقير .

خجلت من نفسها ، وهى تتذكر بوعى كامل رد فعلها للمسته ، فى أقل من ساعة مضت . ربما يكون جسدها خائن لكل شىء يخبرها به عقلها ، ولكن بالتأكيد لن يستجيب جسدها إلى حقير .

زحف لون أحمر قانٍ على وجهها ردًا على تفكيرها . والتفكير الذى تبع هذا جعل الدم يهرب من وجهها ، ليجعلها شاحبة . هل كان نائمًا ؟ صوته كان واضحًا لا يدل على النعاس عندما اتهمها بالخروج من الفراش مثل الفيل الصغير ، هل شهد رد فعل جسدها للمساتة ؟ .

لم تحتمل التفكير فى هذا أكثر ، جلست على عجل ، تحملق بغثيان فى قطعة التوست فى طبقها . دخل حينئذ ، حليق الذقن منتعش ، مرتديًا سروالاً . أزرق غامق وسويتر من نفس اللون . وفجأة شعرت باختناق ، أصبح الهواء ثقيلاً بتوتر واضح غير محتمل . لم تكن الغرفة صغيرة ولكن بدت وكأن الحوائط أصبحت تقترب أكثر فأكثر .

سكب لنفسه بعض الشاى الذى صنعته ، لم ينطق بكلمة ، من الواضح أن التوتر لم يمسه بشىء ، ولكن سارة بدأت تشعر بالغثيان نتيجة هذا . تهدد الدموع بالانسكاب ، انقبض حلقها ، وكذلك كرهته .

وقفت ، غير راغبة فى تناول الإفطار الآن ، ثم سارت إلى النافذة ، تشعر بعدم التوازن فى حركتها ، كما لو كانت لم تعد لها سيطرة على جسدها . فى الخارج ، يبدو وكأنه الثلج الناعم غير المنكسر يمتد لأميال طويلة من أمامها .

" لا ، لم يختف أثناء الليل . أشعر بالأسف مثلك تمامًا . ستمضى أيام طويلة قبل أن يبدأ هذا الجليد فى الذوبان " . صدمها بصوته فى الغرفة الهادئة ، مما جعل عضلات كتفيها تنقبض توترًا . التفتت بغضب ، لا تعلم إلى أين تذهب . ولكنها توقفت

فجأة مرتجفة عندما علق بسخرية " تبدين شاحبة ومثيرة هذا الصباح . ألم تنامى جيدًا ؟ " .

وضع طبقة من العسل على شريحة التوست ، أصابعه قوية - قوة رشيقة قاسية مما أصابها بالغثيان . التفت نفس تلك الأصابع حول جسدها هذا الصباح . هل هذا هو السبب الذى يغيظها من أجله ؟ هل يشير إلى أن شحوبها وتوترها يرجعان إلى استجابة جسدها للمساته ؟ ليس لديه أى وازع عن إيزائها بكلماته ، لن يتأخر عن إبلاغها برأيه الحقير فيها .

ولكن كلماته التالية تركت لديها دون شك رد فعله عما سيكون إذا كانت بقيت فى السرير ليكشف عن قوة جاذبيته عليها .

" وبالطبع ، تبدين كذلك جميلة جدًا " . أنهى كوب الشاى ليملأه مرة ثانية " ولكن بالطبع تحافظين على مظهرك جيدًا ، جمالك تستخدمينه جيدًا فى جذب الرجال الضعفاء ، أليس كذلك ؟ أشفق على السذج الضعفاء ، الذين لا يرون سوى جمالك الظاهرى . لا أعرف كيف ينخدع الرجال بسهولة من امرأة بلا قلب ؟ " .

لاشىء يمنعه أو يوقفه عن شىء . يلقى عليها بالإهانات وكأنه حق يمارسه عليها .

رجع اللون الأحمر إلى خديها ، ولمع اللون الأخضر بعينيها وهى تذكره " كنت أنت الذى تحدث عن إقامة هدنة سلمية ، هل تذكر ؟ يبدو أنك تتكلم شىء وتفعل العكس تمامًا " .

" عرفت بمجرد دخولى إلى المطبخ الآن ، أن أى فعل متحضر معك لن يقابل بالحسنة منك وعلى الأخص عندما لم تطيقى الجلوس على مائدة واحدة معى " . وقف ، ومط جسده بكسل ، لا يهتم بهدنة أو أى شىء آخر ، وبسرعة أشاحت سارة بعينيها بعيدًا عنه ، شعرت بألم من شدة كراهيتها له .

يجب أن تبتعد عنه سريعًا ؛ الألم لا يُحتمل بداخلها ولا يبدو أن أى شىء ، أى شىء ، يؤثر فيه " إذن إذا كنت تبغى الحرب ، فليس لدى أية مشكلة " .

تعليقه الأخير تبعها وهى تصعد السلالم ، تطلعت من النافذة إلى الخارج دون أن ترى ملامح وجهها المنقبضة الشاحبة وعينين تبرقان بالنيران .

عضت على شفتيها لتقنع نفسها بأن هذا كله مجرد كابوس مرعب . التفتت لترتب من فراشها . يجب عليها القيام بعمل شىء قبل أن تصاب بالجنون . رفضت أن تفكر كيف شاركته هذا الفراش . ستفعل المستحيل حتى لا تشاركه الفراش الليلة .

التقطت كتابها من على الأرضية ، وهبطت ببطء إلى الطابق السفلى ، خشية أن تواجهه مرة أخرى ولكنها لاتجد مفرًا من مواجهته . غمرها ارتياح عظيم عندما وجدته بالخارج يقطع المزيد من الأخشاب .

كان الباب الخلفى غير موصد ولا يوجدعائق يمنعها من الهرب ، ولكن أوقفها شيءٌ ما ، لا تدرى كنهه مهما يكن ... هزت كتفيها ، لتلتفت إلى الثلاجة . مملوءة بالطعام ، أخرجت قطع دجاج بأنيه مجمدة ، ووضعتها على المنضدة حتى يزول عنها الثلج ، ستنتقى بعض الخضروات بعد قليل وكذلك ستخرج بعض الخبز ، يوجد بعض الخبز المتبقى مع حساء معلب ، هذا ما ستقدمه له على الغداء اليوم .

رقدت على الأريكة وبيدها فنجان قهوة وبالأخرى كتابها ، خيم السلام والهدوء على الغرفة فيما عدا صوت قرقعة الخشب وهو يحترق بالمدفأة . أضافت أخشاب أكثر ورجعت إلى الأريكة لترقد باسترخاء وتبدأ فى القراءة . ولكن سرعان ما بدأت الحروف تتراقص من أمامها وبدأت تغفو بعد أحداث الثلاثين ساعة الماضية .

عندما استيقظت كانت الغرفة تكاد تغرق فى الظلام تشعر بالألم فى جميع أنحاء جسدها ، خمدت النار ولكن الصندوق الحديدى

ممتلئ بالأخشاب ، لابد وأنه حضر أثناء نومها ووضع المزيد من الأخشاب . بعدم توازن ، وقفت على قدميها ، اختارت قليلاً من الأخشاب الصغيرة ، ووضعتها بحذر فى الرماد الساخن وحركتها قليلاً حتى اشتعلت . ذهبت إلى المطبخ ، ترتعش قليلاً ، تغسل قطع الدجاج وتنظفها قبل أن تتبلها .

هذا المساء يجب عليها أن تتحدث إليه . تتحدث معه بجدية . على الرغم من موقفها هذا الصباح فقد أثارت فيه مزيدًا من الاحتقار - يجب عليها إعلان هدنة بينهما ليمكنهما التعايش السلمى فى تلك الظروف القاهرة لهما .

جهزت مائدة عامرة بالطعام فى انتظار وصوله لتناول العشاء . خيم ظلام حالك بالخارج الآن ، ولكن لا أثر لوالدو . تعوى الرياح ، لتصفع النوافذ .

أين هو بحق الجحيم ؟ لا يمكن أن يظل يقطع الأخشاب فى الخارج . على أية حال ، لم تسمع صوت الفأس طوال فترة الظهيرة .

سحبت الستائر قليلاً حتى تسمح للضوء بالخروج . لا يمكنها إنكار قلقها العميق بشأن تأخر والدو . هل أصابه حادث ؟ جرح نفسه بالفأس ؟ لم تحتمل التفكير بهذا الشكل .

www.zakaawym.com

بحثت فى الأدراج عن بطارية لمحتها بالأمس عندما كانت تبحث عن الشوك والسكاكين . اختطفت معطفها واتجهت إلى الباب الخلفى قبل أن تسمح لنفسها بالتفكير فى المخاطر التى يمكن أن تتعرض لها أثناء بحثها عن والدو .

فتحت الباب بينما أخذت تجاهد لتشعل البطارية ، عندما ناداها صوته العميق من الظلمة ، ليصيبها بالهلع " هل أنت على وشك الخروج إلى مكان معين ؟ " .

" والدو ! " دق قلبها بعنف ارتياحًا وقولها " كنت قلقة أتساءل أين ذهبت " لم يقبله بسهولة . " شعرت بالقلق ، ياحبيبتى ؟ " .

هزت رأسها " تأخرت كثيرًا ، اعتقدت بأنه ربما أصابك حادث " .

يجب أن تتوقف الحروب الداخلية ، وضعت لها هذا الآن ، إنه لمؤلم للغاية . لهذا الصراحة التامة من جانبها أفضل سياسة إذا كان عليهما قضاء يومين أو أكثر فى انسجام .

رفع أحد حاجبيه بعدم تصديق ، مضى من جانبها ، ليحضر معه عطر هواء تلك الليلة الباردة ، قال " وفرى اهتمامك لهذا المسكين " . أصبح فى المطبخ الآن ، والكلمات " ما الذى أخرك ؟ "

تلاشت من على طرف لسانها عندما رأت حفنة الريش التى يمسكها بين يديه . أطراف أصابعه زرقاء من البرد ولكنه كان يحاول إرسال بعض الدفء من جسده إلى العصفور المغرد المتجمد .

" هل هو ميت ؟ " . تجعد جبينها من الشفقة . لونه الأحمر الذهبى مثل الدم المتجلط بينما يرقد المخلوق الصغير ، لا تصدر عنه أية حركة ، بين أيدى الرجل الضخم .

" لا أعتقد ذلك . لم يكن ميتا عندما التقطه . أمسكى به بينما أحضر صندوقًا " .

احتضنت سارة الطائر المغرّد فى يديها بينما خرج مرة ثانية ، أخذت تقربه إلى المدفأة ، أخبرت والدو ، صوتها يحمل خيطًا من الإثارة بينما رجع بصندوق أحذية كرتونى ، " إنه حى . يمكننى الشعور بدقات قلبه " . ولكن الخفقان ضعيف ومتردد ، هذا لم تضفه له . يكفى أن هذا الشىء الصغير لايزال على قيد الحياة ، لديه الفرصة ، الكافية لتعرف بأن والدو يهتم بأمره .

" هذا ذو قيمة " . وافق وكأنه يعرف ما يدور بذهنها . " يوجد صندوق للمناديل الورقية الصحية فى الحمام . احضرى بعض المناديل " .

وضعا الطائر فى الصندوق بعد حشوه بالمناديل الورقية فى ركن من غرفة الجلوس الضخمة بجانب المدفأة حيث الدفء والهدوء والعتمة ، قال والدو بينما يغسل يديه " لديه فرصة جيدة للحياة الآن ، أنا مسرور بأنك لم تصرخين " .

" ولماذا يجب على الصراخ ؟ " . أثناء العشر دقائق الماضية عملا معًا فى انسجام ، بدون كلمات خشنة ، وكان شعورًا لذيذًا . لم تعرف سببًا وراء قوله عن الصراخ .

" لا يحب العديد من النساء التعامل مع الحيوانات البرية - وبخاصة إذا ظهر أن هذا المخلوق يبدو وكأنه ميت " .

" أوه . تعرف العديد من النساء إذن ؟ " . وضعت الخضروات فى الماء المغلى ثم انحنت لتخرج قطع الدجاج من الفرن .

قال " تبدو لذيذة الطعم . إذا كنت تقصدين كلمة " أعرف " بمعناها الحرفى ، إذن لا ، لا أعرف الكثير . ولكنى قابلت عددًا كافيًا ممن سيصرخون إذا سألتهن أن يمسكن بطائر مجروح " .

كان يمسح يديه لتجف ، واقفًا بالقرب منها ، عيناه السوداوان دافئتين وضاحكتين .

وبينما كانت سارة تضع الدجاج ، فتح والدو زجاجة من النبيذ ؛ الليلة لن ترفض أن تشاركه الشراب ، المطبخ دافئ ؛ جنة آمنة ضد برد الشتاء القارس بالخارج . شعرت بالجو المحيط بها مثل الحب .

" عندما حضرت فى فترة الظهيرة وجدتك تغرقين فى النوم فلم أشأ إيقاظك ؛ يبدو وكأنك تعوضين ساعات نوم ضائعة . ألم يكن فراشى مريحًا لكِ ؟ " . لم تبغ سارة الحديث عن هذا ؛ ولا تريد حتى التفكير فيه . ولم تعط أى اهتمام لتلك اللمعة بعينيه .

هل يجب عليه الإشارة إلى ليلة أمس ؟ تجاهلت سؤاله ، وضعت قطعة دجاج بين أسنانها وبدأت تمضغها " كان يمكننى ولكنى لم أرد ، ذهبت لألقى نظرة على السيارة ولكنها محشورة بين تلال من الجليد " .

كان يدو على صوته الندم الحقيقى كما لو أنه لم يعد يستطيع الانتظار للخروج من هنا . ولا تعرف كذلك لماذا يجب أن يضايقها شعوره بهذا . " قابلت العجوز لين ويتكينز . كان يبحث عن الأغنام " . أخبرها ولم يدرك الارتباك الذى يسود أفكارها ، وشعرت بالامتنان لهذا . " خرجت كاسحات الجليد للعمل ولكن سيمضى وقت طويل فى الحضور إلى هنا . هذا هو المنزل الوحيد فى تلك الناحية ، لهذا لن تُعطى الأولوية إليه هنا . ولكن لين قال

إنه سمع نشرة الأخبار الجوية تعلن عن قدوم عاصفة ساخنة فى خلال يومين " .

هذا معناه بأنهما سيرحلان فى خلال يومين - وقت كاف ، بالتأكيد ، من أجلها لتقنعه بخطئه بأنها ليست كما يعتقد . لم تحاول التفكير فى سبب ضرورة إقناعها إياه .

ماذا يمكن أن تقله لوتى عنها حتى تجعله يرى ضرورة اختطافها كوسيلة وحيدة لإحضارها إلى يورموث ؟ بالتأكيد أشياء بغيضة عنها ، بالحكم على الإهانات التى تتلقاها منه !

شعرت بعينيه مركزتين عليها ، تطلعت إليه ، أعطاها المزيد من الشراب ، استند على كرسيه للخلف وعيناه السوداوان غامضتان ، " هل تستمتعين بعملك فى الوكالة ؟ سمعت أن روجر أومارا رجل أعمال ناجح . هل يتبع جيرالد خطواته فى النجاح ؟ " .

" جيرالد مجتهد فى عمله ، مخلص ولكنه ليس موهوبًا مثل أبيه " أجابت سؤاله بوضوح وصراحة . هذا الصباح كان من الممكن أن تجيبه بقولها ليس هذا من شأنك . " بالإضافة إلى ذلك ، أنا أحب عملى . بالطبع كثيرًا ما يغلب عليه الروتين ، ولكن أحيانا تصبح الأمور مثيرة وممتعة - مثل أن تجد جوهرة فى منتصف

أعمال تافهة " برقت عيناها مما عمق من اخضرار عينيها ، وسرعان ما اختفى البريق لسؤاله المفاجئ . " مثل كتاب إيدن الأول ؟ " .

اللهجة التى استخدمها ، كالمعتاد باردة ، وموضوع الحديث بعث إشارة تحذير إلى أسفل ظهرها .

" لم أتعامل فى هذا الكتاب " . بعناية حافظت على مستوى صوتها هادئًا . إذا كان يبحث عن مشاجرة فلن تعطه حافزًا للهجوم عليها ، ولكن التوتر والاضطراب بدأ ينموان فى داخلها . يجب أن تحافظ على هدوئها حتى لا يتخذ من انفعالها سببًا لإدانتها " قام روجر بمساعدة إيدن فى نشر كتابه الأول ، حاولت مساعدة إيدن فى كتابه الثانى ، كان روجر فى إجازة مرضية لإصابته بالإنفلونزا الحادة عندما اتصل إيدن ، كان يعانى من بعض المشاكل ؛ تناولنا الغداء - لمناقشة تلك المشاكل . هذا كان بداية تعارفنا " . " وبالطبع لم ينته من الكتاب الثانى " ، قاطعها والدو بنعومة ، " كان دافيد ولوتى فخورين بشدة بكتابه الأول ، يتطلعان إلى رؤية كتابه الثانى بعد الطبع ولكنه لم يكتب الكتاب الثانى ، هل فعل ؟ ماذا حدث ؟ مضى فى بداية الكتاب بسلام حتى قابلك . ألم يستطع التركيز فى عمله وأنت بجانبه ؟ " .

" هذا غير حقيقى " . لم يكن الأمر بهذا الشكل الذى يصوره أبدًا . حاولت تدعيم ثقة إيدن الهشة ، حاولت مساعدته فى بلورة فكرة الكتاب والبدء فى تنفيذها . كان إيدن يثق فيها ويعتمد عليها كثيرًا . ربما حانت أمامها الفرصة الآن لتجعل والدو يرى الحقيقة . لم يكن لدى إيدن كتاب ثانى فى داخله .

" لم يكن الأمر مثل ما صورته " . أخبرته ، محاولة إقناعه بالحقيقة الواقعة .

" لا ؟ " كان يحاول الظهور بمظهر مؤدب ومتحضر . ولكنها تعرف بأنها تجلس على فوهة بركان ، وفى أية لحظة سينفجر البركان ويثور ثورة عارمة تقضى عليها . الشىء الوحيد الذى سينقذها هو تغيير الموضوع ، جمعت الأطباق من المجفف ثم قالت بصوت مهذب متوتر " ما هى مهنتك التى تجنى من ورائها قوت عيشك ؟ شيئًا ما فى هونج كونج ، أليس كذلك ؟ " .

" فى جميع الأنحاء - الشرق الأقصى ، الشرق الأوسط ، الهند . وماذا أعمل ؟ " . تغيرت لهجته ، حادة ولكن سلسلة ، خشنة ولكن ناعمة " كيف يمكننى أن أحدد اسم الوظيفة لمفهومك . يمكنك أن تدعينى مستشارًا تجاريًا ، أوربما مضاربًا فى البورصة . لا تحاولى تغيير الموضوع حسب رغبتك " .

صوته انفجر بجفاء ، صدمها من العنف ، مما جعلها ثابتة ، خائفة أن تتحرك ، ظهرها إليه .

" هل شغلت ذهن إيدن عن العمل ؟ " ردد سؤاله السابق بعنف " كان بدون خبرة مع النساء ، شديد الثقة بك . يا إلهى كان يمكننى التعامل معك " . ضرب المنضدة بقبضة يده .

التفتت إليه عندئذ ، تصعقه بعينيها " لن تستمع إلى الحقيقة لأنك لا تريد تلك الحقيقة . لأنها لا تتماشى مع تفكيرك ، ولكنك لن تصدقنى أبدًا ولو بعد مليون عام لأن لديك ذهن مغلق . تريد تصديق ما يناسبك . لسبب غامض ملتو تصدق أحقر الأشياء حتى تلصقها فى شخصيتى " .

للحظة عابرة أظلمت عيناه ، وأصبح وجهه قاسيًا ، والخطوط فى وجهه بدت أعمق " إذن أخبرينى . أخبرينى الحقيقة - هذا إذا كنت تعرفين معنى تلك الكلمة " .

اصطكت أسنانه بغضب " أخبرينى بالقصة الخيالية التى تحكى للأطفال قبل النوم " . !

الفصل الخامس

" وهل ستخبر لوتى عندما تراها بالحقيقة ؟ " .

انتقلا إلى حجرة الجلوس ، زود النار بأخشاب جديدة ، فحص الطائر الجريح . يرتسم على وجه والدو تعبير غضب شيطانى فى ظلال الضوء الوحيد الصادر عن نيران المدفأة حيث لم يهتم أيا منهما بإضاءة المصباح . تنهدت بألم عندما سألت نفسها ، كيف يمكن لرجل أبدى اهتمامًا كبيرًا بطائر صغير جريح أن يعامل بقسوة مخلوق بشرى مثله ؟ .

" الحقيقة ؟ " تساءلت إذا كان يعلم بأمر إيدن احتمال أنه يعرف . تربيا معًا فى ظل أسرة متماسكة لا بد وأنه على علم بالأمر .

" ولا شىء غير الحقيقة " .

" هل تقول دائمًا الحقيقة ؟ " راوغته محاولة معرفة مقدار قرب والدو من إيدن ، حتى يشعر بالحزن وفقدانه هكذا .

" ولم لا ؟ " أجابها بسؤال آخر .

" حتى إذا كانت مؤلمة ؟ " .

" بالطبع . من حق الناس معرفة الحقيقة ؛ لا فائدة من التظاهر بأننا نعيش فى فردوس الحمقى " .

تكلم الرجل القاسى . حملقت سارة فى ألسنة النيران . هل تخبره الحقيقة ولا تهتم بالعواقب أو الدمار الذى ستولده .

" هل كنت أنت وإيدن متقاربين أحدكما من الآخر ؟ " .

وبدلاً من أن تشاركه الجلوس على الأريكة الصغيرة ، اختارت الجلوس بالقرب من المدفأة ، تمد يديها المرتجفتين إلى دفء النار . ولكن الآن انتشرت الحرارة فى أوصالها فوقفت على قدميها ، بدون أن تدرى رشاقة وجمال حركتها . ولكنها تعرف بأنه يراقب كل حركة من حركاتها ، فأخذت تجوس فى الغرفة تشعر بقرب حدوث مشكلة .

" متقاربان أكثر من أى شقيقين ، على ما أعتقد " . أتاها صوته حازمًا وقاطعًا كما لو أن حياته ومشاعره خارج موضوع المناقشة "كنت أبلغ من العمر تسعة أعوام عندما تبنيانى دافيد ولوتى - اسمعى " .

تلون صوته بنفاد الصبر " ألا يمكنك التوقف عن التجول فى الغرفة ؟ أنت مثل النمر المحبوس بالقفص " .

صححت قوله بصمت أنا لست بنمر بل أنا الفريسة التى تشعر بنذير اقتراب الخطر . ولكنها توقفت وفعلت مثل ما أمرها به وحملت مقعدًا خشبيًا صغيرًا بالقرب من المدفأة فى مواجهته ولكنها أشاحت ببصرها عنه وتطلعت إلى ألسنة النيران .

" كانت تجربة جديدة لى أن أقيم مع عائلة محبة متماسكة . كان إيدن يبلغ من العمر خمسة أعوام ، اعتاد التطلع إلىّ على أنى أخوه الكبير القوى . وأنا اهتممت به واعتنيت بشئونه . وعند اعتنائى به شعرت بقيمة وجودى . وهذا بالطبع شعور جديد بالنسبة لى " .

إذن إذا كان إيدن أصغر من والدو بأربعة أعوام ، إذن والدو يبلغ من العمر الآن ستة وثلاثين عامًا . تملكها شعور غريب بأن تلك تعتبر معلومة هامة وغالية .

" وعندما كبرتما ؟ " . شعرت بالغضب ينمو فى داخله مرة ثانية ، ولكنها فى حاجة لمعرفة الحقيقة فهذا أمر هام ، ستؤثر على الطريقة التى ستخبره بها .

" كلانا وجد طريقًا آخر ، ولكننا تابعنا أخبار ما يحدث لكل منا " .

يبدو الندم فى صوته ، وظلال الألم فى عينيه ، صمت ، يمكن لسارة الشعور بالندم الذى يحيطه كما لو كان شعورًا خاصًا بها .

" هل تشعر بالندم ؟ " .

" وبحق الجحيم ولماذا أشعر بالندم ؟ يعرفون كلهم ماهية شعورى تاحيتهم ؛ نحن هنا ليس للحديث عن قصة حياتى وعيوب شخصيتى . إذن أخبرينى ماذا حدث بينك وبين إيدن ؟ أخبرينى لماذا تخليت عنه ورفضت إكمال مشوار الزواج بينكما ؟ " .

لا يمكنها إخباره بالحقيقة ، ستتسبب فى إلحاق الأذى به . يمكنها تحمل غضبه واحتقاره لما يعتقد بأنه حقيقة شخصيتها . تريد بالطبع احترامه ، تفاهمه .

" لا أعرف بماذا أخبرتك لوتى ، ولكن يمكننى التخمين " .

بدأت ، محملقة فى ألسنة النيران ، تشعر بكل نفس يتنفسه " ولكن أؤكد لك بأنها مخطئة " .

" هل تقولين بأن لوتى كاذبة ؟ " لهجته تكاد تكون عادية ، تعبير وجهه مغلق وغامض . يمكنها فقط التخمين بما يدور فى ذهنه .

" لا ، ليست بكاذبة ولكنها مخطئة . من الواضح ، أن إيدن أعطاها أسبابًا خاطئة لانفساخ خطبتنا " . متأكدة من أنه لن يصرح بالأسباب الحقيقية ويخبرها للوتى . " ولماذا يفعل ذلك ؟ " الرجل كان يحبك ولماذا يقول أكاذيب عن حقيقة عذاب عدم حبك له ، وأنك تنازلت ووافقت على الارتباط به عندما أعتقدت بأنه سيكتب

أعمالاً جديدة تدر عليه أرباحًا طائلة مثله حدث مع كتابه الأول . قتلت قوة الإبداع ، وإخلاصه للكتابة ؛ وكذلك أنت مسئولة عن مقتله . أخبرينى شيئًا آخر . هل حدث وأحببته قط ؟ " .

" لا " . أخبرته بهدوء وهى تعلم بأن قول الحقيقة سيدينها أكثر فى عينيه ، " ليس بالطريقة التى تقصدها " ناضلت لتخبره ، صوتها أجش ، من الصعب عليها تكوين كلمات " كنت مغرمة به ، احترمته - احترمت موهبته - أعتقدت أنه الرجل الذى أريده . كنت أعتقد بأنى سأرى مستقبلاً سعيدًا معه " .

" حتى اكتشفت أنه لن يستطيع الكتابة مرة ثانية ، لن يحرز المزيد من النجاح . لنساء من نوعيتك لا يعرفن معنى الحب . يجب أن تواجهى نتيجة أفعالك حتى أتمكن من إدخال بعض الأحاسيس الصادقة تحت ظاهرك الخادع الكثيف " . تطلع فيها بعينين يتطاير الشرر منهما مما جعلها تخاف أكثر وأكثر منه . يبدو شاحبًا ، خطوط وجهه محفورة بقسوة ، تلمع عيناه كما لو كان مصابًا بحمى ، احتبس نفسها فى حلقها وأشاحت بعينيها عن تركيز عينيه .

" هل .. هل يوجد أية أغطية إضافية ؟ " . حتى الكلام بدا صعبًا عليها ، يبدو وكأن جوًا مكهربًا ثقيلاً خيّم على الغرفة .

www.liilas.com

" لماذا ؟ هل تشعرين بالبرد فى فراشى ؟ " لهجته القاطعة لم تساعدها كثيرًا .

" لا " . لا تريد التفكير فى ليلة أمس ، فى الطريقة التى كانا فيها عندما استيقظت من نومها هذا الصباح . وجهها تقريبا فى شحوب وجهه عندما أخبرته ببرود ، " سأنام على الأريكة هنا الليلة " . لابد من وجود أغطية إضافية فى مكان ما هنا ، إن لم يخبرها ستكتفى بالجاكت الثقيل الخاص بها . ويجب عليها مغادرة تلك الغرفة ، تتعلل بالاغتسال ، أو أى شىء .

أمسك بذراعها بينما تمر به ، ليوقفها بفظاظة .

" أخبرتك لماذا أريدك فى فراشى " .

ببرود على قدر استطاعتها ، نظرت إلى يده التى تقبض على ذراعها ثم رفعت عينيها إلى عينيه " دعنى " .

صوتها هادئ ، بارد ، لا يعطى لمحة للدوامة التى تدور بها . وببطء أرخى أصابعه على الضغط الذى يمارسه على ذراعها حتى تمكنت من جذب ذراعها بعيدًا .

" أخبرتك بأنى على استعداد للذهاب للوتى .

وإذا كنت أنوى الهروب من هنا لفعلت اليوم .

لم يكن الباب الخلفى موصدًا ؛ وكان يمكننى الرحيل ، وستمضى عليك ساعات قبل أن تعرف بأنى ذهبت " .

" كنت فى طريقك للخارج عندما حضرت " . ذكّرها ، وهو يلوى فمه احتقارًا .

" كنت ذاهبة للبحث عنك " .

ابتعدت عنه ، للتجول فى الغرفة بعدم ارتياح . وهى تلعن نفسها لعدم منطقية تفكيرها فى الصباح ، واضطراب الأفكار ليس من شيمتها .

" إذن لماذا القرار المفاجئ بعدم مشاركة فراشى ؟ أنا لم ألمسك ، وحتى إذا فعلت لما كنت قد عارضت كثيرًا " .

" أفضل الرقاد على فحم متقد على أن أشاركك الفراش " .

قالت من خلال أسنان مضمومة ، تضم ذراعيها من حولها بشدة كما لو كانت تمنع نفسها من أن تضربه أو تصرخ فيه .

" عجبًا ولماذا ؟ " . تحرك برشاقة ليحيل بينها وبين الباب ، المهرب الوحيد لها ، ليمنعها من الفرار ويجعلها فريسة لمزيد من الإهانات . تعرف ماذا يدور فى تلك الرأس الوسيم . رجعت للخلف " إياك والاقتراب منى أيها الحقير " .

عندما استيقظت فى ضوء الفجر الرمادى ، كان يخيم على الكوخ صمت مميت . قلّت سرعة الرياح ، وأصبحت أهدأ ، تحركت بألم بعدما غفت أخيرًا على الأريكة الصغيرة . أزاحت الستائر للخلف قليلاً عن الصباح الرمادى البارد . ثم رجعت لترى الطائر الصغير . كان واقفًا يفرد جناحيه ، يراقبها بعينين كالخرزتين لامعتين بقلق ، ابتسمت . شفاؤه شيء جيد . دخلت إلى المطبخ لتصنع بعض الحليب المجفف وتضع بعض فتات الخبز فى أحد الأطباق وأضافت اللبن ، تأمل إغراء الطائر بتناول الطعام .

حاولت تجاهل توتر أعصابها والذى جعلها تقريبًا تشعر بالغثيان . يتأرجح مزاج والدو بين كثير من الانفعالات ومن النادر أن يسمح لشخصيته الحقيقية فى الظهور . ولكن هذا الصباح ، خمنت ، بأن مزاجه سيكون شيطانيًا .

وبصراحة تامة ، لا يمكنها أن تلومه . إذن يجب عليها الحديث إليه ، لجعله يفهم ماذا حدث ، لماذا رفضت مداعباته ومغازلته لها عندما كان متأكدًا ، شديد التأكيد ، من مبادلته نفس الأحاسيس . شعرت برغبة عارمة ، وفياضة ، بدون أن تعرف بالضبط لماذا ، فى كسب ثقته واحترامه .

أعدّت لنفسها بعض الشاى والتوست ، تناولت إفطارها فى المطبخ . لم تسمع أى صوت صادر من الطابق العلوى . إذن إما

أن يكون والدو لا يزال نائمًا أو أنه يرفض رؤيتها . لا تعتقد بأن الأخير هو الصحيح . فهو دائمًا سيواجه ما يجب عليه أن يواجهه .

تركت التوست عندما وجدت صعوبة فى ابتلاعه ، أعصابها تكاد تنهار ، فى انتظار سماع خطوات أقدامه وهو ينزل الدرج . بالتأكيد لا تتطلع إلى الإحراج من رؤيته ، ولكنها تتمنى من الانتهاء مهمة اعتذارها وشرح الأسباب . وببعض الحظ ، ستكسب تفاهمه ، لتعكس رأيه السيئ فيها ، وتجبره على النظر إليها بعين جديدة .

وقفت خارج الكوخ ، تنظف المنطقة الأمامية من الجليد فى محاولة منها لإبعاده عن ذهنها . استندت إلى الجاروف ، خداها محمرتان من المجهود الذى بذلته ، فتحت أزرار الجاكت وتساءلت إذا كان قد نزل إلى أسفل بعد . ثم تضايقت من نفسها لسماحها له بالتطفل على أفكارها . سارت فى اتجاه السيارة المهجورة ، تتبع طريقها فى الجليد المبتل ، مستخدمة نفس آثار أقدامه أمس .

وفى منتصف الطريق عبر البحر الأبيض من الجليد ، رأت شخصًا يقترب . رجل طاعن فى السن صغير الجسم يرتدى جاكت صوفى ثقيل ، يحمل زجاجتين من الحليب .

يجب التطلع إلى أعلى حتى ينظر إليها ، لمحت تعبيرًا ضاحكًا يتراقص فى عينيه وهو يسألها .

" هل تقيمين فى كوخ أيسور مع والدو ؟ "

هزت رأسها . " أيسور ؟ اسم الكوخ ؟ " . ضحك الرجل العجوز ، مد يديه بزجاجتى الحليب ووضعها فى يديها .

" اشتريت زجاجتين إضافتين من شاحنة اللبن . اعتقدت بأنكما فى حاجة إلى المزيد من الحليب . يمكن أن يرانى والدو فى وقت آخر . أخبريه بأن مساحة الجليد أزالت الجليد حتى بداية أرضه . وسأساعده إذا كان فى حاجة إلى إزالة الجليد عن أرضه . أخبريه بأن لين مستعد " بدأ يلتفت مبتعدًا ، ولكنه تطلع إليها ضاحكًا " ولكن إذا كنت مكانه ، لن أسرع بالمغادرة " .

انصرف حينئذ مديرًا ظهره لها وهو يمضى على الجليد بخطوات واسعة ، ولكن ليس قبل أن يرى احمرار خديها أخيرًا ، حركت كتفيها ، ماذا إذا كان القرويون يعتقدون بأن والدوروث يقضى وقتًا ممتعًا مع امرأة جميلة ؟ . يالله من اعتقاد بعيد عن الحقيقة .

التفتت راجعة ، تتابع نفس خطواتها ، متأكدة بأنه لابد وقد نزل فى هذا الوقت . ولكنها لم تلمح أى شىء يدل على وجوده . لقد مضى على وجودها بالخارج أكثر من ساعتين لابد وأنه نزل

وانصرف . ربما يقطع بعض الأخشاب ؟ أو ربما يسير بلا هدف فى الخارج لأنه لا يطيق رؤيتها ؟ يؤلمها هذا التفكير ! .

أطعمت سارة العصفور المغرّد مرة ثانية ، لبن طازج هذه المرة مع بعض فتات الخبز . ثم هاجمها شعور قوى غمرها لرؤية والدو . تريد الحديث إليه ، وهو يحاول تجنبها وكأنها داء معدٍ . ذهبت إلى أعلى تريد تغيير ملابسها والتى ابتلت أثناء سيرها على الجليد المبتل .

***

الفصل السادس

دفعت الباب ، رأت أنه لم يهتم حتى بإزاحة الستائر عن النافذة ، وكذلك الفراش لم يرتبه بعد . أزاحت الستائر جانبًا ، التفتت لتبحث فى حقيبتها عن ملابس ، فرأت بأن الفراش غير المرتب لا يزال يحتوى على جسده الممدد .

وقفت سارة مضطربة وتسارعت دقات قلبها عند سماعها لتحشرج أنفاسه . لابد من وجود خطأ ما . اقتربت من الفراش بخطوات مترددة . وجهه شديد الشحوب ويغرق العرق جسده .

" والدو ؟ " تكلمت بإلحاح ، عيناها على الرموش السوداء التى ارتفعت بثقل ، يلتوى فمه من الألم عند هجوم موجة من الألم وهو يكافح للجلوس .

" هل أنت مريض ؟ " سؤال ليس فى حاجة إلى إجابة ، لأن طفلاً ذو عامين سيعرف بالتأكيد بوجود شىء خطأ . وفجأة أزاح الغطاء جانبا وأنزل قدميه إلى الأرض . كان عاريًا ، يلمع جسده بأكمله بالعرق ، يرتجف جسده . وقبل أن تستطع القيام بشىء إلى مساعدته جرى إلى الحمام وبعد ذلك بلحظات سمعت التقيؤ . دفعها القلق البالغ عليه فى ملاحقته ، دق قلبها بعنف . يستند إلى الحائط ،

يرتعش بوضوح ، فأمرها بصوت أجش " اخرجى عليك اللعنة " . تجاهلت سارة ذلك . إذا كان يعتقد بأنها تشمت به وهو فى هذه الحالة المزرية إذن لن تبالى بغضبه . اندهشت لشعورها بالألم والحزن لمرضه . لا يمكنها أن تتركه فى تلك الحالة ، رغبت فى مساعدته ، إراحته ، رغبت فى ذلك بشدة مما أدهشها .

أمسكت بروبه ، وأشارت عليه بارتدائه وعندما تطلع إليه ، كان تعبيره متحير ، مرتبك ، كما لو أنه يحاول إدراك ما هذا ، ولم يستطع فهم هذا . اقتربت منه وأحاطت به كتفاه . حتى وهو مريض يؤثر على حواسها بعمق .

" ارجع إلى فراشك " . أخبرته بصوت بح هامس ، مدت يدها تمسك بمرفقه قبل أن تفكر برد فعله ، أزاحها بعيدًا ، وهو يتمتم بحدة ، " اللعنة ، اتركينى بمفردى ، ألا تفهمين ؟ لا أريدك بالقرب منى " .

وقفت سارة بحيرة فى الحمام وهى ترقبه بقلق يكافح للرجوع إلى الفراش ، ممسكًا بروبه المنزلق . لم تندهش كثيرًا لأنه لا يريدها بالقرب منه بعدما حدث ليلة أمس .

وحتى على الرغم من أنه لا يريدها بالقرب منه إلا أنه فى حاجة إليها - على الرغم من عدم اعترافه بذلك . شدّت كتفيها ،

نزلت الدرج ، صنعت براداً من الشاى وأخذت فنجانًا إليه ، كاد صبرها ينفد عندما صاح بها غاضبًا " لا أريد أى شىء منك ، اغربى عن وجهى " .

بهدوء تام ، وضعت على المنضدة الصغيرة القريبة من الفراش فنجان الشاى . درجة حرارته عالية ، شعره الأسود يلتصق بجبينه ، وجهه شاحب ، يغمره العرق . جسده فى حاجة إلى السوائل . إذا نزلت إلى أسفل ، وتركته قليلاً بمفرده ، ربما يغير من رأيه قليلاً ويحتسى شرابه . ولكن قبل أن تغادر ، قالت له " أعتقد بضرورة وجود طبيب " . رده المنقبض ، كافيًا لإيضاح رغبته فى عدم رؤيتها . تركته ، غير سعيدة بهذا القرار ، ولكنها تدرك ، فى تلك اللحظة ، بأن وجودها غير مفيد على الإطلاق .

سمعته يترنح إلى الحمام ثلاث مرات فى تتابع سريع ، تسمع الصوت المتألم من التقيؤ ، ثم خطواته الثقيلة المترددة وهو يرجع إلى فراشه . الجو بارد فى الطابق العلوى ، وهو مريض .

وبعد مضى عشرين دقيقة كأنها دهر لم تستطع المكوث هكذا بدون مساعدته ، سكبت بعض الماء فى كأس زجاجى وصعدت . لا يهم كم يكره رؤيتها ، لا يمكنها أن تتركه على هذا الحالة . شاء أم لم يشأ ، ستجبره على قبول مساعدتها له .

كان يبدو مستغرقًا فى النوم ، ولكنه لا يبدو نومًا مريحًا . وعندما لمست بيدها جبينه شعرت بارتفاع شديد فى درجة الحرارة وعرفت بأنه يجب عليها الإسراع بالاتصال بالطبيب ، لا تريد أن تتركه بمفرده وقتًا طويلاً ، ولكن إذا أمكنها إقناعه باحتساء مشروبات ساخنة وأن تضع غطاءً إضافيًا فوقه ، سيمكنها عندئذ من الانطلاق فى إيجاد طبيب له .

لايزال فنجان الشاى فى مكانه على المنضدة الصغيرة ، بارد الآن ، وضعت سارة كأس الماء بجانبها .

يجب عليه تناول أى مشروب ، لا تزال درجة الحرارة فى تزايد ، يمكن أن يصاب بالجفاف .

أصبحت حركاتها أهدأ من أفكارها الآن ، أحضرت وعاءً ممتلئًا بماء مثلج وقطعة قماش نظيفة من الحمام ، وبلطف بدأت تبلل له وجهه ، عنقه ، وصدره . فتح عينيه برهة ، صدرت عنه أنة اعتراض ، تحدثت إليه ، عن تعمد كان صوتها هادئ وواضح .

" استيقظ يا والدو . لا بد وأن تشرب شيئًا ما " .

فتح إحدى عينيه وسريعًا غيرت وجهها إلى الصرامة " هل يمكنك الجلوس ؟ " .

" لا " .

يبدو مثل طفل غاضب مما جعل قلب سارة يرتجف بحنان وعضت على شفتيها لتخفى ابتسامة .

" إذن سأساعدك " كان صوتها ، و حركاتها حازمة ، ولكن لا يوجد أى شىء حازم فى تجاوب مشاعرها عندما وضعت يديها تحت كتفيه العريضتين ، يحرق جلده الملتهب كفيها .

جلست على طرف السرير ، تسند رأسه بإحدى ذراعيها ، أصابعها ممتدة فى شعره الرطب . أخذت نفسًا عميقًا وأمسكت بكوب الماء ، كانت عيناه تتطلعان إليها بثبات ، وكراهيته الواضحة تخذلها . كل ما يجب عليها فعله هو أن تريه من هو الرئيس هنا .

ولكن من السهل القول أكثر من الفعل ، عندما أشاح برأسه جانبًا عندما قربت الكأس من شفتيه . " أخبرتك أن تغربى عن وجهى يا إمرأة " . كان صوته وهو ضعيف ومن حول شفتيه بياض ، ولكنه لا يزال قادرًا على لطم يدها الممسكة بالكأس وقبل أن تحتاط فعل هذا مبتعدًا عنها .

ابتلعت سارة لفظًا بذيئًا على طرف لسانها ، ووقفت على قدميها بغضب تتطلع إليه بعينين غاضبتين . لم تلاحظ نظرة الإعجاب فى عينيه وشيئًا آخر - اختفى كما لو كان سرابًا - تجاهلت قوله " تبدين مثل قطة غاضبة على وشك الهجوم " .

" بالفعل ! " بداخلها ثورة عارمة على وشك الانفجار ، وتلون خداها بحمرة الغضب " إذا كنت تريد التصرف مثل الطفل المدلل ، إذن هيا تصرف كما تشاء ". سأذهب عندئذ وأتركك فى حال سبيلك. ولكن إذا كنت تريد أن تستعيد صحتك وتقف على قدميك مرة ثانية ، إذن يجب عليك أن تنس غرورك الرجولى المتغطرس ، وتنس اعتقادك بأنى دواء سقيم ، ونفذ ما أطلبه منك ! هذا كله يرجع إليك ! " مهما يقول ، ليس لديها النية لتركه فى مثل هذه الحالة ، ولكنه لن يعرف هذا بالتأكيد .

وقفت بصمت تلتقط أنفاسها بعد هذا الانفجار الغاضب ، تراقب أية إشارة تصدر عنه ، ولكن كل ما حصلت عليه هو بعض الهمهمات الغاضبة ليس لها معنى . ولكنها كافية مما جعلها تخطو بهمة عبر الغرفة وتجر مقعدًا وثيرًا ضخمًا إلى جانب الفراش . " اجلس هنا حتى أستطيع تغيير ملاءات الفراش التى بللتها الآن " .

لم تمهله وقتًا للجدال ، سحبت الغطاء بعيدًا ، ولم تقدم له أية مساعدة بينما زحف خارجًا ، وهو يتأوه من الألم . لا يريدها أن تلمسه ولا تريد هى البدء فى مشاجرة أخرى .

سريعًا ، أزاحت الملاءات المبتلة وأحضرت ملاءات نظيفة ، ورتبت الفراش وهى تشعر بعينيه المركزتين عليها . أمسكت له الروب الذى ألقاه فى نهاية السرير .

" ارتدى هذا . ثم سأملأ لك زجاجة ماء دافئة ، ثم سأذهب لأحضر طبيبًا " . كانت تتحدث حتى تخفى قلقها عندما شاهدته يجد صعوبة فى ارتداء الروب ، وعندما أبدى صعوبة أكثر فى ربط الحزام ، فعلتها وهى تشعر بالحرارة المنبعثة من جسده وهى قريبة منه . ربطة وهو يرقد فى الفراش ، يرتجف بسلسلة متتابعة من الرجفات التى تهز جسده القوى .

وضعت الغطاء عليه وقالت " يجب عليك تناول مشروب ، ستشتعل إذا لم تحتس أية مشروبات " . جمعت الملاءات و الكأس الزجاجى الفارغ وخرجت من الغرفة ، عندئذ فقط تجعد جبينها قلقًا من تزايد ارتفاع درجة الحرارة .

وجدت زجاجة ماء دافئ فملأتها بالماء الدافئ مرة ثانية ، وبحثت فى حقيبتها عن بعض أقراص الأسبرين والتى تحرص على وجودها بحقيبتها للطوارئ . وبعد ذلك بدقائق معدودة صعدت إلى أعلى وضعت زجاجة الماء الدافئ تحت الأغطية بجانبه ، وفى صمت مدت يدها المفتوحة التى تضم الأقراص وفى اليد الأخرى كوب ماء .

" إذا تقيأت مرة ثانية سيكون خطؤك " أخبرها متذمرًا ، ولكن بدون فظاظة المرة السابقة ، ثم انحنى للخلف مستغرقًا فى النوم .

الحرارة مسئولة عن سرعة استغراقه فى النوم . استغلت استغراقه فى النوم لتغيير ملابسها المبتلة وهى تفكر بضرورة ارتدائها ملابس ثقيلة حتى تتمكن من تحمل البرودة القارصة عند ذهابها لاستدعاء الطبيب ، بعد انتهائها وعند مغادرتها الغرفة سمعت صوته ضعيفًا متحشرجًا ، أوقفها . " سارة - أنا آسف " .

لا تعرف بالضبط عما أسفه ولكنه شيء عظيم أن يبدى اعتذاره لها ، " حسنًا الأمور على ما يرام . هل يمكننى إحضار أى شيء لك قبل أن أنصرف ؟ ما رأيك فى كوب من الشاى ؟ أو ربما بعض الطعام ؟ " .

أبدى امتعاضًا عن ذكر الطعام ولكنه رحب بكوب من الشاى . وفى دقائق قليلة أحضرت له الكوب " هأنذا أحضرت لك كوب الشاى كما أمرت " .

وضعت الصينية على المنضدة بينما أضاءت الأباجورة لأن وقت الظهيرة فى الشتاء ينتهى سريعًا ، مخلفًا ظلمة من ورائه . سكبت كوبين من الشاى ، وضعت كوبه قريبًا " هل تساعدينى ؟ " توسله خرج دون إرادته ، فعرفت حينئذ كم أضعفه المرض حتى يتوسل إليها لمساعدته .

جلست على حافة السرير ، تسند رأسه بذراعها وتضع الكوب على شفتيه . رأسه ثقيلة ، ووزنها ثقيل تحملته بسرور . وتلك المعرفة هزتها بعنف . بعد أن ارتشف رشفتين اكتفى قائلاً ؛ " لا تتركينى بمفردى ، أشعر ببرد شديد " يجب عليها أن تفكر بتعقل وأن لا تضعف أمامه ، من أجل صالحه . " لن أجد صعوبة فى إيجاد طبيب الآن . سأرجع سريعًا بقدر استطاعتى " .

" لا " قال بصوت بح أجش بينما غرز رأسه أكثر فى كتفها ، وقبض بذراعيه عليها " لا تتركينى " . لا يجب عليها الإنصات إليه ، يجب أن تسرع فى إيجاد طبيب . " والدو ، يجب أن أذهب الآن . للاتصال بالطبيب " .

" لست بحاجة إلى طبيب . ولكن فقط إلى الراحة والاسترخاء . هذا فيروس يعاودنى بين الحين والآخر ، مثل الملاريا " . مر بلسانه فوق شفتيه الجافة " يومين فقط - وسأكون بخير . سأرجع إلى طبيعتى، صدقينى " .

يجب عليها أن تصدقه ، أليس كذلك ؟ وهو أدرى بمرضه . استكان إليها وهى تمرر أصابعها بين شعره . بينما تنظر إليه ، لاحظت وجهه الشاحب ، أصبح أقل قساوة . . شعرت بمولد عاطفة جديدة ، تغلفها ، وتقوى حبها له رغبة منها لحمايته ورعايته رغبة

وضحت عندما وجدته مريضًا ، ولم تدرك كنهها حتى تلك اللحظة . منذ بداية مقابلتهما ، كانت تشعر بوجود كراهية أو عداء ، ودائمًا يسيطر على كل أفكارها . ومحاولتها لإثبات كذب الإدعاءات التى قالتها لوتى وصدقها والدو ، أخذت تلك الأفكار تتأرجح فى ذهنها ، تتصارع مع عواطفها ، كيف تركت قلبها يقع ضحية حب هذا الرجل القاسى ، لا تعرف ماذا تفعل .

مضى وقت طويل وكلما حاولت الابتعاد عنه يتشبث بها أكثر ، مما استحال عليها أن تتركه وحيدًا طوال الليل . أمضت الليل كله تتفحص وجهه فى ضوء القمر المنبعث من النافذة ، تحفظ عن ظهر قلب ملامح وجه والدو ، تحتفظ بذكريات تراجعها عندما تصبح وحيدة من بعده .

على الرغم من تحذير عقلها ، جسدها كان أكثر صدقًا ، علمت بذلك الآن . مضى وقت خداع النفس . غريزيًا استجاب جسدها له ، لم يسبق وحدث لها ذلك .. والآن قبله عقلها أيضًا ، وافق على حقيقة مولد حبها . وقعت فى حب رجل يحتقرها ويكرهها ، ولم تفعل شيئًا بمثل هذا الغباء فى حياتها كلها .

***

الفصل السابع

استيقظت سارة ، تشعر بالضيق لاستغراقها فى النوم ، تسببت فى ضياع لحظات ثمينة عندما كان يمكنها التظاهر بأنه يحبها وأن حبها له ليس من طرف واحد . وبأن الذراعين اللذين يحيطان بها هما ذراعى حبيب ، يحتاج إليها وإلى دفئها فى مرضه . شعرت بألم حارق ومدمر يخترق جسدها ، وبدون أن تفكر أبعدت ذراع والدو بعيدًا عنها ، غير مكترثة بأنه بدأ يستيقظ ويعود إلى وعيه تمامًا . لقد فعل ما يمكن أن يفعله أى رجل مريض بحاجة إلى الدفء والرعاية ، لا يمكن أن يلومه أحد .

" سارة ؟ " لا تزال العينان السوداوان غير مركزتين ، غائمة بظلال النوم ، وربما بالأحلام ، ابتسمت ابتسامة عريضة لم تصل لعينيها لأنها تفكر بفراقهما المتوقع ، والسنوات العريضة المقبلة الخالية من العاطفة بدون والدو ، ولا يجب أن يعرف بذلك أبدًا . إنها لحمقاء للوقوع فى حبه .

" هل تشعر بتحسن ؟ " قالت بلهجة لا تنم عما يدور بداخلها .

" أحسن بكثير ، شكرًا لك . ماذا تفعلين ؟ " .

" مليون شيء وشيء " مرة أخرى الابتسامة المرسومة ، " ولكن ألن تعتنى بى ؟ أنا رجل مريض " . كان يغيظها وهو يرقد بالفراش الواسع ، الضوء فى عينيه مداعبًا ، وكان يبدو بالتأكيد أحسن كثيرًا .

قالت بطريقة مبهجة " على الأقل إحدى هذه المهام تتعلق بالعناية بك " وبعد ذلك انصرفت من الغرفة .

اغتسلت سريعًا ونظفت أسنانها . بمعجزة تحول الجليد إلى جليد رمادى نصف ذائب . النيران بالمدفأة بالطبع انتهت . وكذلك العصفور المغرد يقف على الأريكة ، متجنبًا يديها عندما حاولت إمساكه . قالت بنعومة معلنة هزيمتها ، " حان وقت الرحيل ؟ " . وضعت فى الصينية بعض فتات الخبز ووعاء به الماء وتركته للطائرة .

بينما هى تقف بالمطبخ سمعت تحركات والدو بأعلى ، فى الحمام ، يستحم . نادت عليه من أسفل السلالم ، " هل أنت بخير ؟ سأحضر لك شراب ساخن " . أجابها بصوت عالٍ ، " سأنزل الآن " . سمعت هذا فأسرعت فى إعداد الإفطار له .

كان لايزال شاحب الوجه ولكنه حلق ذقنه ، شعره لايزال مبتلاً من الاستحمام . استند إلى الحائط فى نهاية السلالم وتطلع بنظرة

طويلة ومعقدة جعلتها تتلون خجلاً . تصرفه يحيرها ، ولكن ما يحيرها مضاعفًا هو معرفتها بمقدار حبها له . شعرت بالضعف لمحبتها له ، وطريقة حبها تعتبر مشكلة لا تجد لها حلاً . تحتاج إلى وقت ترتب فيه أفكارها المشتتة ، والآن لا يسنح لها الوقت لذلك وهو يزاحمها بنظراته .

التفتت مشيحة بنظراتها بعيدًا ، شعرها الأسود الكثيف يشكل ستارة تختفى ورائها ، ثرثرت قائلة ، " لا أعرف كيف حال شهيتك للطعام ، ولكننى أطهو بعض السمك المدخن . ولكن إذا كنت تفضل شرائح توست وشاى - أو ربما بعض اللبن الدافئ - لا يوجد أى مشكلة . أنا - " .

" يكفى السمك المدخن والشاى " قاطعها فى سيل كلماتها المتدفقة ، بصوت بهيج ، ولكن يوجد خيط من التوتر لا يزال موجودًا ، ولكونها شديدة الوعى لكل شيء يتعلق به ، شعرت بهذا التوتر . ولكنه قال بصوت به إغراء ، " أحب شعرك على هذا الشكل " .

منسدل ، شعرها الأسود الكثيف دائمًا يلتوى عند أطرافه مما يعطى لخصلاته جمالاً خاصًا بها . جعلت نفسها تنشغل بتحضير الأطباق والشوك والسكاكين ، تحاول أن تتجاهل السعادة التى

غمرتها عند سماعها لمجاملته المفاجئة " لم أجد الوقت الكافى لتصفيفه على هيئة ضفيرة " .

سكبت الشاى ، وقصمت السمك المدخن فى طبقين وطلبت منه الجلوس قبل أن يقع . " لبن طازج ؟ " رفع حاجبه الأسود ، وهو يتساءل عن الزجاجة التى أخرجتها من الثلاجة ، شرحت له وهى سعيدة بتغيير مسار تفكيره عنها .

" أحضرها رجل عجوز ، قال إن اسمه لين ، وكذلك بإنك يمكن رؤيته فى وقت آخر . كذلك أخبرنى بأنه تم إزالة الجليد حتى بداية مزرعتك " لم تضف بأنه تقدم بمساعدته لإخراج السيارة من الجليد . لن يكون قادرًا على بذل هذا المجهود الجسمانى لبضعة أيام . وعلى الرغم بأنها خمنت إمكانية مساعدتها لين فى إخراجها ، إلا أنها لا تريد أن تغادر بعد . يمكنهم الانتظار حتى تأتى العاصفة الحارة لتقوم بالعمل بدلاً منهم . وستكون سعيدة جدًا إذا استغرق الأمر أسابيع ! عجبًا كم من الممكن أن يؤثر الحب على التفكير السليم - بعد الانتهاء من تناول الإفطار ، صعدت سارة إلى أعلى لترتيب غرفة النوم ، بينما قام والدو بغسيل أدوات المطبخ .

نزلت بعد انتهائها من غرفة النوم . بدأت فى إشعال النيران فى غرفة الجلوس فدخل والدو محملاً بمزيد من الأخشاب ، وأصبح

وجهه رماديًا من هذا المجهود البسيط ، صرخت فيه قائلة " كان يمكننى القيام بذلك " .

" أنا بخير " . ابتسم لها بإعجاب وتقدير تقدمت خطوة نحوه " والدو " تمتمت بصوت مبحوح " أرجوك حاول أن تثق بى ، لم أقصد أبدًا إيذاء إيدن - الأمر كله كان مستحيلاً . ألن تصدقنى ؟ " .

رأت لمعان الاشمئزاز المفاجئ فى عينيه ، مما جعل وجهها يشحب . لقد قامرت وخسرت . لن يصدق أبدًا بأنها ليست عاهرة . كلمة واحدة منها كانت كافية لتجعله يتذكر بأنها العاهرة التى جرحت أخوه وقضت عليه .

ضمت ذراعيها من حول جسدها لتسكت الألم الذى تشعر به . تبعته إلى الداخل ، وجدته يصنع القهوة . كلماته اللاذعة ، " اجمعى أشياءك ، سترحل الآن " . أخبرتها بكل ما كانت تحتاج إلى سماعه . يحتقر نفسه لإعجابه بتلك العاهرة التى تسببت فى القضاء على أخيه .

صعدت إلى أعلى لتجمع أشياءها وهى تذرف دموعًا تندب بها حظها على ضياع لحظات السعادة سريعًا . إذا رأى بؤسها وحزنها سيرجعها إلى أنها امرأة لعوب غير معتادة على رفض رجل لها .

الألم الذى شعرت به عندما أخبرها ادوارد أنه متزوج لا يعد شيئا مقارنة بهذا . يمكنها إجباره على الإنصات إلى حقيقة إيدن ولكنها ستتسبب فى مزيد من الألم - ألم له ، هذا إذا صدق كلماتها .

الطريق الوحيد المتاح لها هو بناء حائط عالٍ سميك بينهما ، لن يمكن لأحدهما اختراقه . طريق مظلم وكئيب ، ولكنه الطريق الوحيد .

" إذن لم تذهبى إلى مراكش ؟ ! " جاء جيرالد ليجلس على طرف مكتبها ، عيناه البنيتان متسعتان من الدهشة . " لا أصدق ما أسمعه " . ولكن نظرة واحدة إلى الشحوب الصافى لملامح صارمة ثابتة ، امتقاع لون بشرتها - زاد من امتقاعها سواد لون شعرها ، كل هذا كافيًا لإخبار أى شخص بأن آخر شىء يمكن أن تكون قد قامت به الاستمتاع بإجازة شتوية تحت شمس شمال أفريقيا .

حركت سارة كومة الخطابات من على مكتبها ، ابتسامتها متكلفة ، هز جيرالد رأسه " إذن ماذا فعلت ؟ لماذا لم تتصلى بى ؟ كان يمكننا قضاء ليلة أوليلتين فى التزحلق على الجليد " .

حمدت الله على دخول جويس مما أراحها من إجابة سؤاله ، مما أجبر جيرالد على ترك مكتبها قائلاً " سأذهب لتناول الغداء " .

" لا أعرف ماذا تنوين فعله مع هؤلاء ؟ " قالت جويس ، السكرتيرة التنفيذية بالوكالة ، وهى تضع ملفًا ضخمًا من الأوراق أمامها على المكتب " وجدت هذه مصادفة الآن ، مما ذكرنى ، أن أعطيها لك . إنه كتاب إيدن ويلموت ، يالـه من فتى مسكين " . كانت النسخة غير المنتهية لدى سارة لعرضها على ناشر آخر عندما وصلت الأخبار بوفاة إيدن ، فقررت سارة ، بناءً على موافقة روجر ، الانتظار والتوقف عن أى شىء يتعلق بها . إرجاعها إلى والديه فى تلك اللحظة مثل وضع الملح على الجرح . ولكن ربما سنحت الفرصة الآن فى إرجاعها لهما .

حكّت سارة ظهرها بإرهاق ، وجويس التى تحب شيئًا أكثر من الحديث ، جلست على مكتب جيرالد . لا تتمتع جويس بأى مسحة جمال ، فى منتصف العمر ولا يمكن التذكر منذ متى بدأت العمل مع روجر . تقيم بمفردها فى شقة صغيرة حقيرة وتقبل من يريد الإقامة معها . قالت لسارة بينما تمرر أصابعها فى شعرها الرمادى الفضى . " هل تعرفين أننى قد قابلت أخو إيدن المتبنى ، والدو روث . يالـه من رجل جذاب - " .

" هل قابلت والدو ؟ " . ضاقت عينا سارة الخضراوين ، قالت جويس باعتزاز " أوه ، نعم . كان لطيفًا جدًا " انحنت فى الكرسى للخلف ، من الواضح لايزال فى الحديث بقية " بعد مضى شهر من

تلك الحادثة الفظيعة ، كنت أغادر المكتب ، عندما انزلقت قدمى - سقطت حقيبتى ، وكل مشترواتى . موقف محرج للغاية ! ولكن هذا الشاب الخارق التقط كل شىء لى . وبعد ذلك أصر على اصطحابى لتناول مشروب . لأتغلب على صدمتى ، قال هذا . على أية حال ، اتضح أنه أخو إيدن المتبنى - يا لها من مصادفة ، أليس كذلك ؟ " .

هزت سارة رأسها بدون وعى ، نبضها متسارع . مصادفة ! لقد كان يقوم بتحرياته عنى وبالطبع جويس المغرمة بالنميمة والقيل والقال ، ستمده بكل الإجابات . ولكن أية إجابات ؟

" بالطبع ، أخبرته كم نحن آسفين لما حدث للمسكين إيدن ، نهاية مأساوية ، وخاصة قبل موعد زواجكما مباشرة . أنا لم أعرف ، لم تقولى لنا شيئا - " اتهمتها عيناها الرماديتان " بأنك فسخت الخطبة . مستر روس أخبرنى بما حدث ، وسألنى كيف تلقيت نبأ مصرع إيدن ، وكيف أصبحت حياتك الآن ، لهذا أخبرته بأنك أصبت بصدمة ، مثل بقيتنا ، ولكن ألا يقلق ، أخبرته - فقد كان يبدو قلقا إلى حد ما - بأنك تتقابلين مع مستر جيرالد منذ رجوعه من الولايات المتحدة ، وكنت تنبأت لكما بقصة رومانسية " .

ضمت يديها على بطنها المنتفخة ، لسانها لا يتوقف عن الكلام ، وفكرت سارة بأن والدو قد تمكن من جمع كم هائل من المعلومات

من جويس والتى تعانى من الوحدة وعندما تسنح لها الفرصة فى وجود صحبة تحكى قصة حياتها ، أو قصة حياة أى شخص آخر لأى غريب مار .

" وهل قابلت والدو بعد ذلك ؟ " . سألتها بجمود وهزت جويس رأسها بحماس .

" مرة أو مرتين ، عندما يصدف مروره عند خروجى من العمل " ، عرفت سارة حينئذ كيف علم والدو موعد إجازتها ، وأين ستذهب ، وموعد وصول التاكسى لتوصيلها إلى المطار . كان يمكنها خنق جويس فى مكانها .

" تذكرت كل هذا عندما وجدت نسخة عمل إيدن الأدبى مصادفة " . أخبرتها جويس ، ثم أضافت ، " لماذا لا نتناول الغداء معا ؟ ويمكنك أن تخبرينى عن كل شىء متعلق بإجازتك . يمكننى القول بأن قيامك بتلك العطلة لم يفدك على الإطلاق ، لأن شكلك مرهق كما كنت تبدين قبل سفرك " .

" آسفة " . رسمت على شفتيها ابتسامة ندم . جويس لم تقصد سوءا ، وإنما هى تعانى من الوحدة . " لدى الكثير من العمل يجب إنجازه " . يكفيها إلى هنا التدخل فى شئون الآخرين . كان من الصعب التهرب من ماندا . تؤجر ماندا الكوخ التالى لها . فهى

تعمل فتاة غلاف والكثير من الطلبات تأتيها ، ولكنها دائما تجد الوقت لتحافظ على صداقتها مع سارة ، ويكاد الفضول يقتلها عند خروجها إلى إحدى حفلاتها الصاخبة لتقابل سارة مصادفة عندما أوصلها والدو إلى شقتها وأنزل حقيبتها من سيارته .

لم تر سارة جويس وهى تخرج من المكتب ؛ أفكارها كلها مع والدو مرة أخرى ، كما هو الحال هذه الأيام . رحلة العودة من الكوخ كانت كابوسا ، كانت الطرق لا تزال خطرة ، بعيدة كل البعد عن الأمان .

لم يكن والدو قد استعاد صحته كلية ، ولكنه رفض عرض سارة بالقيادة بدلاً منه . لم يكن فى مزاج جيد أثناء رحلة الرجوع وكذلك سارة كانت مختنقة بالكلمات وعندما وجدت الكلمات ، عندما توقف بالسيارة أمام منزلها ، قاطعها متجاهلاً ليخرج لها حقيبتها من السيارة .

خرجت من السيارة ، تبحث فى حقيبة يدها بيأس عن مفتاح الشقة ، وفى تلك اللحظة خرجت ماندا من شقتها ، رائعة فى بالطو صوف أبيض طويل ، يصل شعرها الأحمر المنسدل على كتفيها ، ارتفع حاجباها المقوسين من فوق عينين بنيتين .

" من المفترض عدم رجوعك قبل أسبوعين . إذن ماذا ..." . كلماتها المتلاحقة توقفت فى المنتصف ، تقوس فمها ذو الحمرة القانية فى شكل تصفيرة صامتة ، وأحد جفونها أغلق فى غمزة معرفة عندما ظهر والدو يحمل الحقيبة من خلف السيارة .

" يكفى هذا الآن . ألقاك قريبا يا حبيبتى " . انسحبت ماندا من جانب والدو وهى تلقى نظرة جانبية متفحصة لهذا الرجل الطويل القوى ذى الملامح الرجولية الجذابة . شعرت سارة بالمجهود العضلى الجسمانى الذى أرهقه أثناء قيادته السيارة ، عرضت عليه الدخول - على الرغم من قراره السابق ببناء حائط منيع بينهما - " تفضل بالداخل - استرح قليلاً بينما أجهز لك مشروبا أو ربما وجبة خفيفة ؟ " .

" لا " . العينان اللتان قابلتا عينيها قاسيتين وباردتين ، ملامحة قاسية . لا يمكنها أن تتركه يرحل هكذا . حمقاء هى . " والدو ، بالنسبة للوتى ..... " .

لبرهة بدا وكأنه لا يعرف عما تتحدث . ثم هز كتفيه لا مباليا ، ملتفتا بعيدا " لا زلت أعتقد أنها فكرة جيدة أن تذهبى لتريها . سأكون على اتصال " . ولمدة أسبوعين وهى تتلهف على مكالمة تليفونية أو زيارة منه . تجلس فى شقتها الساعات الطويلة فى انتظاره . تفكر فيه طوال الوقت ، تتساءل لماذا لم يكمل خطته كما

انتوى من قبل ، لماذا لم يأخذها إلى يورموث لتواجه الدمار الذى سببته للوتى ودافيد ؟ .

" هل أنت فى حاجة إلى السيارة فى عطلة الأسبوع ؟ " . " لا ، إذا كنت تريدينها ، فيمكنك أخذها فى أى وقت ـ ادخلى ، لا تقفى هكذا على عتبة الباب كالأرنب المذعور " . ابتسمت ماندا ابتسامة سعيدة ، تنحت جانبًا وأشارت عليها بالدخول أولاً ، شعرت سارة بالهواء البارد يصفع أطراف جونلتها وشعرها .

" آسفة ، لا بد وأن أسرع " .

" لا تتعللى بالأسباب الواهية ! " مدت ماندا يدها ودفعتها إلى الداخل . " منذ أسابيع ، وحتى الآن وانت تتجنبينى ، يمكنك أن تجلسى معى ولو لمدة عشر دقائق . وإذا كنت تريدين استعارة السيارة يمكنك إعطائى بعضًا من وقتك " .

ضحكتها المنخفضة خففت من لذاعة كلماتها ، ولأن سارة لا تريد أن تضايق صديقتها استسلمت وجلست . قالت ماندا " سأحضر لنا بعض الشاى " .

استرخت سارة على الأريكة ذات الطراز الفيكتورى ، أجبرت نفسها على الاسترخاء ، تحاول الاستجابة إلى الجو الرّاقى المحيط بها .

" الشاى جاهز يا حبيبتى " . قالت ماندا مسرعة ليسقط الضوء على شعرها الأحمر ليؤكد من جماله . " قال جيرمى إن الشاى دائمًا بلسم للجروح " . سكبت لها الشاى وأخذت تتلو عليها بعض الطرائف التى حدثت لها مع فريق التصوير الأخير ، قهقهت سارة لأول مرة منذ أسابيع .

جلست ماندا القرفصاء أمام سارة " الآن هيا أخبرى عمتك الحكيمة كل ماحدث لك " .

تطلعت إلى سارة الصامتة العابسة بعيون بنية ترى الكثير من داخلها . " تبدين ضعيفة وقابلة للعطف ، يالك من مسكينة . هل يتعلق هذا بالرجل الجميل الذى أحضرك إلى منزلك بينما كان يجب بناء على قولك أن تستمتعين بإجازتك فى مراكش ؟ " .

تطلعت سارة إلى الخطوط المرسومة فى كفها وكأنها تقرأ مستقبلها ، وبصوت حزين وببطء أخذت تقص على ماندا ما حدث لها منذ خروجها من شقتها حتى رجوعها مرة ثانية .

" يا إلهى ، تبدو مثل قصة خيالية . أدرك الآن مقدار حبك له ، فهو إنسان رائع وجذاب . إذن ماذا تنوين فعله ؟ " .

" لا شىء " . تجرعت من كوبها بدون وعى ، رفعت كتفها قليلاً ، محملقة فى الفنجان . " كل شىء " جنون ، مثل الحلم ، أبذل قصارى جهدى لأبعده عن تفكيرى ، ولكنه الملعون لا يتزحزع قيد أنملة ! لهذا سأذهب لأرى لوتى يوم السبت ، يجب أن أفعل ذلك ، وبعد ذلك ، سأنسى ماحدث وأرميه من خلف ظهرى " .

" هذه ليست سارة سلوان التى أعرفها . وأعجب بها . تريدين هذا الشخص ، حاربى حتى تحصلين عليه . أين ذهبت شجاعتك وعزيمتك ؟ " .

هزّت سارة رأسها نفيًا . كان يجب أن تلقى على مسمع والدو بكل الحقيقة ، منذ بداية اليوم الأول . ولكنه منذ البداية أثر على تفكيرها وشوش فى ترتيب أفكارها . وكان هذا كله غريبًا عليها .

" على ما أعتقد ليس لديك رقم تليفونه فى شقته بلندن ؟ " .

وقفت ماندا برشاقة لتزيح الستائر قليلاً عن سماء شتوية مبتلة ، هزت رأسها أسفًا عندما سمعت نفى سارة المنخفض " يا للأسف ، كان يمكنك حينئذ الاتصال به وإخباره بنيتك فى مقابلته عند زيارتك للوتى هذا الأسبوع .

وتخبريه كذلك بأن إيدن كان يستحق ما حدث له .

" لا يمكننى أن أؤذيه " قالت سارة بحزن " كنت أعتقد بأنه ليس لديه الحق فى معرفة الحقيقة . وعندما وقعت فى حبه ، تغير كل شىء . لا يمكننى أن أتسبب فى أى أذى له . والحقيقة عن إيدن ستتسبب فى ذلك بدون ريب " .

لن يصدقها والدو أبدًا . لا تزال من وجهة نظره عاهرة تلعب برؤوس الرجال لأغراض مادية . بدون وعى ، هزت رأسها نفيًا ، فلم تر نظرة الشفقة والاهتمام فى عين ماندا .

الفصل الثامن

كان دافيد خارجًا من جرن كبير حديث عندما توقفت سارة بالسيارة الميني الحمراء . التفت ، رجل طويل فى بدلة أوفرول أزرق للعمل . ضاقت عيناه الرماديتين قليلاً ثم ابتسم فرحًا مما خفف من إرهاق وجهه . " سارة ؟ " . كبر فى السن ، فكرت سارة بتعاطف وهى تخرج من وراء عجلة القيادة ، ملست على جونلتها من قماش الكشمير الناعم وذات لون الزهور البرية الصغيرة . " تبدين مثل الربيع " .

تمنت تقريبًا لو أنها لم تأت لأن عينيه ، وابتسامته ، شديدة الشبه لإيدن . سيكون الأمر أكثر ألمًا عليهم جميعًا مما كانت تتصور . لا بد وأنهم يكرهونها لو أنهم صدقوا ما قاله إيدن عنها ، ولا بد وأنهم سيكرهونها أكثر على الألم الذى ستسببه لهم بعد تلويث ذكرى ابنهم . ولكن دافيد وهو يقترب منها ماذا يديه مرحبًا وابتسامة عريضة على وجهه لا يبدو أنه يكرهها ، قالت سارة معتذرة : أرجو ألا تمانع فى حضورى بدون اتصال مسبق ، ولكن والدو أخبرنى بأن لوتى تريد رؤيتى " .

" أمانع ؟ " أظلمت عيناه قليلاً ، ثم التفت مصطحبًا إياها إلى الباب الخلفى للمنزل القرميدى " من دواعى سرورى رؤيتك ثانية " . قبض على يدها قليلاً بخجل " لم تعد لوتى كما كانت من قبل . يدور فى رأسها أمور كثيرة ، على الرغم من أنها لا تتحدث عن هذه الأمور أبدًا . ولكنى أعرف بأنها ستسر كثيرًا لحضورك " .

فتح الباب ذى اللون الأبيض ، تنحى جانبا ليسمح لها بالدخول أولاً ، دخلت إلى مطبخ المزرعة المشمس وهى تشعر بترحاب كادت تنساه . " ولكنها تتغير قليلاً عند حضور والدو - دونالد ، كما تعودنا مناداته " . خلع حذاءه ومد يديه ليمسك بالصندل المنزلى " اسمحى لى أن أخبر لوتى بحضورك " . وذهب فى اتجاه حجرة الجلوس . ارتعش قلبها قليلاً عند سماعها اسم والدو وتمنت لو أنه موجود لتسعد عينيها برؤيته . رجع دافيد قبل انقضاء برهة يبدو أصغر سنًا ، وسعيدًا . " سرت كثيرًا لحضورك ! هى فى غرفة الجلوس وتريدك الآن معها . هيا اذهبى وساعد لكما الشاى " .

تقدمت متمهلة وهى ترتجف قلقًا فقد أقسم والدو أن يجعلها تواجه الدمار والخراب الذى سببته للوتى ولهذا المنزل . لا يبدو على دافيد أنه يحمل لها أية ضغينة ولكن الأمر مختلف مع لوتى التى أصبحت منعزلة وبائسة . نقرت نقرًا خفيفًا على الباب ثم رسمت ابتسامة مصطنعة على شفتيها ودفعت الباب لتفتحه . كانت

لوتى ويلموت تجلس على كرسى ذى مسند عالٍ بالقرب من النافذة ، والشمس الساطعة تظهر كم تغيرت لوتى فى الشكل منذ آخر مرة رأتها سارة . كانت امرأة جميلة تضع مساحيق الزينة بعناية مما تخفى سنوات عديدة من عمرها . ولكن لا يوجد مساحيق يمكن أن تخفى الوزن الضائع من جسدها ، وتجاعيد كثيرة حفرت فى وجهها .

" أبدو فوضوية ولكنك تبدين جميلة كعهدك دائمًا يا سارة " . قالت بصوت هامس بدأ يقوى قليلاً ، " أنا مسرورة جدًا لحضورك . أردت من قبل دعوتك لزيارتى ، ولكنى لم أقو على ذلك " .

" أعرف بذلك ، لقد أخبرنى والدو " .

" هل فعل ؟ أوه يا إلهى ! " انسكبت الدموع الحارقة بدون توقف على خديها ، مدت سارة يديها تضرعًا " أرجوك لا تبكى ، كفى أرجوك " .

" ولكنى أستحق هذا . أنا امرأة شريرة حاقدة ، متى قابلت والدو ؟ لم أعرف أنكما تقابلتما " .

حيرها موقف لوتى ، لم تسبها بأى لفظ من الألفاظ التى رمتها بها المرة السابقة . وعلى الرغم من حزنها الظاهر ، ولكن بالتأكيد يبدو أنها لم تعد تكرهها .

لهذا أخبرت لوتى عما حدث لها منذ مقابلة والدو ولكنها لم تسترسل كثيرًا حتى لا تسبب لها ألمًا . " إذن قام باختطافك ! " اتسعت عينا لوتى تعجبًا " إنه اعتاد القيام بما يراه صحيحًا بدون انتظار أية عواقب . لديه عزيمة هائلة وإصرار رهيب . وحشى ولكنه ذو قلب كبير " .

يجب على سارة الآن إخبار هذه السيدة الطيبة الحنون بالحقيقة التى ستلوث ذكرى ابنها الوحيد الحبيب . وربما يمكنها إبلاغ والدو مما يتيح الأمل فى حبها الوحيد . ولكن الحقيقة قاسية ، وبالتأكيد ستتسبب فى إيلام هذه المرأة الحنون . ربما من الأفضل عدم قول الحقيقة . " كان هذا خطئى " همست لوتى مرتجفة " إذا لم أخبره بكل هذه الافتراءات الكاذبة عنك ، لما فعل ما فعله بك . دائمًا يشعر بإحساس من الالتزام بالحماية من ناحيتى . غير ضرورى بالطبع ولكنه يفعل " . حاولت سارة إخراجها من حالة الكآبة التى سيطرت عليها " من المفهوم حزنك وكآبتك ؛ لم تعرفى بأن والدو أقسم على نفسه إحضارى بالإكراه هنا " .

ولكنها اهتزت من الصميم عندما تأوهت لوتى قائلة ؛ " كنت شريرة ، شريرة " .

" أنا آسفة حاولى عدم تكدير نفسك هكذا . سأحضر دافيد لتهدأتك " .

" لا . لا يعرف دافيد ما قلته ؛ لا أستطيع التحمل إذا عرف بهذا الأمر ، لقد تسببت فى إقلاق هذا الرجل المسكين . أرجوك انصتى " . " بالطبع . ماذا يسوء يالوتى ؟ " .

" كل شىء " .

كان الندم واضحًا فى النبرة الحزينة فأمرتها سارة بنعومة ، " هيا اخبرينى " .

" نعم " . هزت لوتى رأسها موافقة ببطء " هذا صعب ولكنى أعرف ضرورة إبلاغك بالأمر . كنت أتمنى حضورك منذ وقت طويل ، ولكنى لم أستطع . وفى لحظة ضعف أبلغت والدو بذلك ، قلت لك بعض الألفاظ النابية عند حضورك فى جنازة إيدن . قلت أكاذيب ، نعم أكاذيب قالها إيدن عند فسخ خطبتكما . كنت أعرف بكذبها ولكنى لم أدافع عنك ووقفت بجانب إيدن . وصدق والدو كل تلك الأكاذيب ، واعتقد بأنك وراء مقتل إيدن . أوه ياسارة ، هل يمكن أن تسامحينى ؟ كنت أعرف عن إيدن كل شىء من سنوات طويلة وكنت أخفى الأمر عن دافيد وأساعد إيدن بالمال .

فرحت كثيرًا عندما تمت خطبتكما ، وأعتقد بأنه سيتوقف عن القمار والإسراف فى احتساء الخمر . كنا نحبه كثيرًا ونغفر له كل خطاياه ولكنى الآن أعرف بأنى السبب فى كل ما حدث له . وبدلاً

من هذا ألقيت باللوم عليك . عند فسخ الخطبة أتى إيدن وقال عنك أكاذيب وافتراءات واهية ؛ صدقتها ولكن دافيد لم يصدقها ، كنت أعرف من زمن مشاكله مع القمار " .

" ربما ساعده والدو على ذلك " اقترحت سارة وهى تتذكر هذا الرجل وقوته ، وحبه وإعجابه لإيدن . " نعم بالتأكيد . كان من السهل كتابة خطاب لوالدو وشرح كل تلك المشاكل من البداية . ولكن فى هذا الوقت ، لم أرد أن يعرف بذلك . كان إيدن يتطلع إلى والدو بانبهار وإعجاب ؛ وإذا عرف والدو بضعف إيدن عندئذ سيشعر إيدن بالخجل منه . كان والدو دائما قويا ويكره الضعف والضعفاء ، لم يعرف الضعف . عندما أحضرناه إلى منزلنا كان يبلغ من العمر تسعة أعوام ، مر خلالها على أربعة منازل من قبل . لم يشعر بالاستقرار . كانت أمه لها أصدقاء رجال كثيرون وهو الإبن الغير شرعى نتيجه تلك العلاقات المحرمة . لهذا يكره الخيانة والعاهرات " .

" يا إلهى " لمعت الدموع فى عينى سارة الخضراوين . لا عجب إذن أنه يكره أية امرأة لعوب تتلاعب بعقول الرجال . " ولكن يا لوتى ، لماذا أخبرت والدو بأننى فسخت الخطبة لأننى امرأة لعوب تتنقل بين الرجال الأغنياء ؟ " . سألتها وهى تحاول إبعاد البرود من صوتها .

" لأننى امرأة غبية حقودة " أجابتها بلهجة اشمئزاز من النفس واللوم " كنت أعرف بالأكاذيب التى قالها إيدن عنك ولكنه عندما توفى خلف عجلة قيادة السيارة وهو مخمور ، ألقيت اللوم عليك ، هذا عندما حضر والدو واستفسر عن الأسباب التى أدت إلى مقتل إيدن فأبلغته بتلك الأكاذيب عنك . لا يجب أن تلومى نفسك . لم يمكن لأحد مساعدته لأنه لم يبدأ بمساعدة نفسه ، لم يتسبب أحد فى مقتله بل هو الوحيد الملوم فيما حدث . أرجوك هل تسامحينى يا سارة ؟ لا ألومك إن لم تسامحينى . تسببت فى تعاستك ، هل يمكنك أن تقدرى موقفى فيما حدث ؟ " .

" نعم أعتقد أن بإمكانى تفهم موقفك . فقدت أحد ولديك ولكن لا يزال لديك والدو " . قالت بنعومة " وبالحكم على الطريقة التى عاملنى بها لا بد وأنه يحبك كثيرًا . يعتقد بأنى مسئولة بطريق غير مباشر عن وفاة إيدن ونتيجة لذلك عن تعاستك أيضًا " . " نعم " . وقفت لوتى على قدميها " يجب أن أفعل شيئًا بخصوص هذا الأمر . بعد وفاة إيدن سجنت نفسى فى حزنى ، ذنبى ، ولم أستطع الحديث لأحد عن هذا لأنك الوحيدة التى تعرف بالحقيقة . أردت الاعتذار ولكننى كنت خجولة من نفسى . كان يعرف والدو باحتياجى إلى رؤيتك ولكنه لا يعرف لماذا . لهذا فعل ما فعل . يجب أن أخبره بحقيقة الأمور " .

سارت ببطء إلى الباب ، وبذلت جهدًا ملحوظًا لجمع شتات نفسها " والآن بعد أن رأيتك يمكننى إراحة ضميرى والاستمرار فى حياتى ، فلا يزال لدىّ دافيد ويجب أن أهتم به " .

عندما وصلت سارة راجعة إلى لندن ، كان الوقت متأخرًا ولأنها تعرف أن ماندا فى حاجة إلى سيارتها فى الصباح الباكر ، أوقفت السيارة أمام منزل ماندا . وعندما أطفأت أضواء السيارة ، ظهرت ماندا على الباب ترتدى معطف فرو أبيض .

" هل كانت رحلة موفقة ؟ " نادت ماندا على سارة بينما تخرج سارة جسدها من المقعد بتخشب " هل كانت هدية الحبيب الصغيرة سهلة القيادة ولم تسبب لك أية متاعب ؟ لقد وصلت المنزل لتوى الآن " .

ألقت سارة بالمفاتيح إلى ماندا شاكرة ومبتسمة . يمكن لماندا تسمية أى شىء لديها " هدية الحبيبة " وكأنها لا تتذكر من أهداها هذه الهدية . أمسكت بالمفاتيح فى يديها وقالت " شكرًا يا حبيبتى . يا إلهى . الطقس شديد البرودة - لن أبقيك الآن على الرغم من رغبتى فى معرفة كل ماحدث اليوم - وماذا حققت من تقدم مع رجلك الجميل ؟ " . أغلقت الباب من ورائها بقرقعة عالية . التفتت سارة متجهة إلى منزلها ليظهر لها من الظلام والدو - الرجل الجميل - ولكن لا يوجد أى شىء جميل فى تعابير وجهه الآن .

التصق لسانها بسقف فمها مما جعل الحديث مستحيلاً . " إذن غرزت مخالبك فى شخص آخر " . كلماته قذائف ملتهبة فى الهواء البارد " هيا لدى وقت كافٍ لسماع أنبائك السعيدة عن يومك الحافل بينما لم يكن لدى صديقتك الوقت " .

برقت عيناه السوداوان اشمئزازًا " هل تخططين على ضحية أخرى أكثر ثراءًا ولديه سيارة أكبر وأحسن ؟ من أهداك هذه السيارة ؟ جيرالد أومارا ؟ إيدن ؟ " . كان يتطلع إلى السيارة وكأنه يريد تمزيق سيارة ماندا المينى الصغيرة .

" أوه ، يا إلهى العظيم " . فرت الكلمات من بين شفتيها الشاحبتين . كانت لوتى تعرف الجانب المظلم فى شخصية إيدن وأقسمت أن تبلغ والدو الحقيقة عندما تراه فى المرة القادمة ، ولكن ما الفائدة ؟ . إنه يبغضها بشدة ولا يمكن لكلماتها أو كلمات أحد أن تزيل تلك الكراهية من جذورها . فى ذهنه صنفها من نوعية والدته ، عاهرة لا تستحق أى احترام أو تقدير . اقترب منها بصمت فرجعت مرتجفة للخلف لتلتصق بالمعدن البارد من السيارة . " اذهب ، وارحل بعيدًا عنى " .

" لن أرحل . لن أتركك أبدًا " . ارتسم التصميم على ذقنه مما جعلها ترتعش فزعًا . " لماذا حضرت إلى هنا الآن ؟ " .

" هيا نتحدث فى منزلك بالداخل " . قبضت أصابع طويلة قاسية على ذراعها ليسحبها من أمامه . حاولت أن تبعده ولكنها لم تزحزحه قيد أنملة . بحثت فى حقيبتها حتى وجدت المفاتيح وعندما حاولت وضع المفتاح فى القفل ارتجفت يدها بشدة مما جعل والدو يبعد يديها ويفتح لها الباب .

وبمجرد دخولهما ملأت قوته ، حضوره ، جاذبيته الغرفة والتى كانت تدعوها يومًا ما منزلاً ، بجسده العريض القوى طغى على الغرفة .

مررت ظهر يدها على جبينها المتألم وسألته بفظاظة ، " ما الذى تريد التحدث عنه الآن ولا يمكنك الانتظار حتى الصباح ؟ " .

ولكنه أهانها أكثر بتعليقه اللاذع " يا إلهى ، يبدو أنك وهذا الرجل المدعو الرجل الجميل قضيتما يومًا مرهقًا . تبدين مرهقة للغاية " .

لو كان يعرف فقط ! يمكنها تفسير كل شىء له ولكنه لن ينصت إليها ، إذن ما الفائدة ؟ . الآن ما تبغيه هو الاستلقاء فى فراشها ، ولكنه هنا ، ووجوده فقط يبعث على التوتر والاضطراب . لشدة إرهاقها شعرت بثقل فى أقدامها ولكنها صممت على تفسير كل الأمور له . ستترك الحقيقة المؤلمة عن إيدن للوتى لتخبره بها .

" لمعلوماتك الخاصة السيارة المينى الحمراء الصغيرة بالخارج . لا تبدأ فى رسم التعبير الساخر على وجهك لأننى أريد قول أشياء كثيرة لك ويمكن بعد ذلك أن تخرج من حياتى وتتركنى فى سلام . بالنسبة لأمر السيارة فهى ملك لماندا جارتى واستعرت منها السيارة لزيارة لوتى . نعم قابلت لوتى ويمكنها تفسير الحقيقة الخاصة بإيدن " .

" أعرف كل ما يتعلق بإيدن " قال متألمًا وهو يشيح بعينيه بعيدًا عن نظرة عينيها الخضراوين المباشرة " وقعت فى يدى بالأمس بعض المذكرات الخاصة به وكذلك قابلت صاحب المنزل والذى كان إيدن يقيم فى إحدى الشقق به . أخبرنى كذلك عن إدمان إيدن للخمر وعن حضور بعض الأشقياء إلى شقته لمطاردته مطالبين برد قيمة ديون خسرها على منضدة القمار وكان هذا عشية الحادث . فلابد أنه فر هاربًا فزعًا وهو مخمور ليقود السيارة ويلقى مصرعه ... " . " يا إلهى " برقت عيناها بالدموع وسالت بغزارة على خديها . تبكى على الألم الذى يمر به والدو وتأنيب الضمير والندم الذى يكسو وجهه . كيف يمكنها التخفيف عنه وهو الذى لا يزال يعتقد بأنها امرأة لا تستحق أى احترام . قالت بصوت مرتجف " لا تلوم نفسك يا والدو ، لم يكن بمقدور أحد مساعدة إيدن . حاولنا ولكنه تغاضى عن كل أنواع المساعدة . صدقنى حاولت مساعدته

www.7akawy.com

عندما علمت بالحقيقة . جاء يطلب منى نقودًا لتعويضه عن الخسارة فى القمار وعندما أبلغته بعدم وجود أى أموال معى ، طلب منى أن أبيع هذه الشقة - والتى اشتريتها بعد حصولى على بعض المستندات الاستثمارية التى ورثتها بعد وفاة والدى - وعندما رفضت ثار واتهمنى بأننى امرأة لعوب لعبت برأسه عندما كنت أظن أنه سيحقق النجاح لكل كتبه . عندئذ طلبت فسخ الخطبة . والدو حاول أن تفهمنى فأنا لم أقصد إيلام أى شخص فى أسرتك وعلى الأخص لوتى ودافيد " .

" هل عرفت لوتى الحقيقة منك ؟ " . لا يزال مديرًا ظهره لها .

" لقد كانت على علم بالأمر منذ أعوام ماضية . ربما من الأفضل لك مقابلتها " .

خيم صمت مطبق على الغرفة لفترة طويلة . تلعب الأفكار برأس سارة ، نعم عرف الحقيقة ماذا يحدث فى الخطوة التالية ؟ هل سيحبها ولو قليلاً ؟ .

" سارة ؟ " . تصلب ظهرها ، تطلعت بعينيها إلى أعلى ، ووجدت عينيه عليها ، لا يمكن قراءة تعبيره . " هل ترغبين حقيقة فى خروجى من حياتك ؟ " ظهر الألم باديًا فى عينيها ، جف حلقها ولم تستطع إخراج أية كلمة ، فأكمل والدو " لأننى يؤسفنى إبلاغك ،

بأنى لا أستطيع أن أتركك تنعمين بالسعادة بعيدًا عنى أو مع رجل آخر " .

لم تحاول أن تقاطعه ، تركته يسترسل فى حديثه وقلبها يصرخ فرحًا معلنًا سعادته ، " كنت أنقب من ورائك ، أحاول إدانتك أكثر حتى أكبت الشعور القوى الذى طغى على عندما بدأت أتعرف على سارة سلوان الحقيقية ، أكذب قلبى عندما يخبرنى بأنك غير ما اكتشفته عنك . وعندما بقيت بجانبى عند مرضى ولم تفرى هاربة كما كانت ستفعل أية امرأة حقيرة لعوب لا تهتم إلا بتحقيق مآربها الشخصية كما كنت أتصورك ، ولكنك لم تفعلى ، بل تحاملت وسهرت بجانبى الليل بطوله ، لهذا لم أستطع إجبارك على الذهاب إلى لوتى ، بل رجعت بك إلى هنا . ورجعت إلى الكوخ مرة أخرى أحاول جمع شتات تفكيرى الذى أثرت عليه بقوة " .

" أرجوك ، لا تقاطعينى . أريد أن أصرح لك بما يعتمل فى قلبى . أمضيت قرابة الأسبوعين بمفردى فى الكوخ ، حتى الكوخ كان غريبًا بدون وجودك فيه ، عرفت حينئذ بأنى وقعت تحت تأثيرك . صممت على معرفة الحقيقة التى رفضت أن تصرحى بها لى ، هل يمكنك أن تغفرى لى ؟ ونبدأ من جديد معًا " . فى يوم واحد فقط يحدث كل هذا . غرد قلبها من السعادة وهى تتطلع إلى عينيه وبها تعبير لم تلمحه فيهما من قبل ، لا بد وأنه الحب .

" ماذا تقصد بعبارة نبدأ معًا ؟ هل تعنى أنك بحاجة إلى علاقة معى . إذن يؤسفنى إبلاغك بأننى لا أقيم علاقات عابرة مع الجنس الآخر " . " ومن أشار إلى إقامة علاقة عابرة . ألم تفهمى من كلامى أى شىء . إنى أصرح لكِ وبقوة أنى أحبك وبأنى لم أحب أية إمرأة أخرى مثل حبى لكِ . وأنوى أن أعوضك عن المعاملة السيئة التى عاملتك بها . سارة حبيبتى ، بل أغلى الأحباب هل تقبلين أن تصبحى زوجتى " .

ابتسمت ابتسامة عريضة والحب يشع من عينيها الخضراوين قائلة " ربما ، سأفكر فى الأمر " . ضحك والدو عاليًا قائلاً : " يا ملعونة ، لن أتركك حتى تعلنين استسلامك وخضوعك الكامل لإرادتى " .

" يا حبيبى ، لقد استسلمت لحبك من زمن طويل . تعالى " . ومدت ذراعيها المفتوحتين له ليأتى مسرعًا إليهما .

رآها واين وهى تغادر المكان ، بينما هو عائد إلى غرفته ،ولكن جوان لم تلحظه .

دخل حجرته ووجد صديقه مندهشاً للغاية .

ـ حسناً !!

نظر كام لأعلى قائلاً :

ـ آه واين ، انظر ، إنه لطيف منك أن تتـــرك لى غرفتك .

ـ حسناً ، فأنا لن أمر على المرضى الآن ، ولكن أخبرنى ، ماذا قررت بخصوص جوان ؟

احمر وجه كام فى ارتباك قائلاً :

ـ إنها ملائمة تماماً من الناحية الطبية ، إنها تمتلك المؤهلات والخبرة التى أبحث عنهما . ولكن هناك شئ ما .

سأل واين :

ـ ماذا ؟

أجاب كام :

ـ إنها مندفعة ، فقد تحدثت بصوت مندفع جداً فى نهاية المقابلة .

إننى أريد مساعدة بأعصاب هادئة .

انفرجت شفتا واين ونظر إلى صديقه قائلاً :

ـ هل أعطتك سبباً لذلك ؟

ـ لم أسأل !! إجابتها عن أسئلتى كانت جيدة .

استطرد قائلاً :

ـ بالتأكيد لديها الكثير من الوسائل التى تقضى بها وقتها . لقد فكرت أن أختار مساعداً رجلاً .

بالتأكيد كان هناك اندفاع شديد فى لهجته ، وقد لاحظ واين ذلك ، فهو يعلم أن كام يعامل النساء بخشونة .

قال واين :

ـ أعتقد أن أى رجل لو كان فى نفس ظروفها لأصبح متوتراً .

ثم أضاف :

www.7akawyma.com